هجرة الرسول



كتاب الجمهورية الديني

الدكتور محمد محمد الفحام



هجرة الرسول
صلى الله عليه وسلم

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر

الدكتور محمد محمد الفحام

شيخ الجامع الأزهر

اهـــداء

اهدى الى العالم الاسلامي هذه الباقة النضرة ، من أزاهير السيرة النبوية العطرة ، ليستنشقوا عبيرها الذكى فتزكـو أرواحهم ، وليحفزهم أريجها الشذى على التمسك بالمثـل العليا التى تضمنتها من الصمود فى الحق أمام الباطـل حتى يصرعوه ، ومن الاعتصام بحبل الله جميعا حتى لايتفرقوا ،ومن الثقة بوعده بالنصر لمن ينصر دينه ،والتمسك بطاعته التى هى أهم أسباب الظفر ، وأقوى دعائم النصر ، ومن الصـبر على الايذاء وتحمل أعظم البلاء حتى يأتى الله بنصره ، وأن لا يؤثروا العاجلة على الآجلة ، ولا يفضلوا السلام اذا كان طريقـــه الاستسلام لأعداء الاسلام .

وستجدون أيها القراء الكرام فى هذه الرسالة أن الهجـرة كانت سنة النبيين ، وستعلمون حكمتها ، وستقرءون فيهـا اعداد الله لرسوله ليتحمل أعباء الرسالة ، ومرحلة الدعـــوة الى الاسلام سرا ، وبعض من أمن فيها من السابقين الأولين ، وكيف كانوا يسلمون .. وكيف صمدوا لايذاء أهاليهم ، وآثروا مرضاة ربهم على مرضاة ذويهم ، وستعرفون مدرسة الدعوة والدعاة بمسكة .

ثم تنتقل بكم الى مرحلة الجهر بالدعوة ومقابلتها بالاستنكار والاستهجان ، ثم مرحلة انذار العشيرة الأقربين ، وضـيق قريش باعتناق أبنائهم وعبيدهم الاسلام ، ثم ايذائهم الرسول ومن آمن منهم بألوان الايذاء العنيفة ، وتعذيب بعضهم حتى وصل الى الموت وهو على دين التوحيد ، ثم طلب قريش من أبى طالب أن يكف عنهم ابن أخيه أو ينازلوه حتى الفنـــاء ، وستعجبون لصمود الرسول حينئذ ولمقالته الخالـدة لعمه : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر مافعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وستسرون لموقف عمه ابى طالب فى مساندته مستعدا لمجابهة الاخطار قائلا للرسول اذهب فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا

وستقرؤون قصة اسلام حمزة البطل المغوار ، ومهادنة قريش للرسول قليلا بعد اسلامه ، وسترون العروض السخية على الرسول من الملك والمال والشرف فيهم ليترك الدعوة الى الاسلام ، ورفض هذه العروض جميعا ، وذلك بلا شك من آيات رسالته ، وستعرفون سبب اسلام عمر بن الخطاب وعزة المسلمين وصلاتهم جهرة فى المسجد الحرام بعد اسلامه ، وستقرؤون هجرة المسلمين الى الحبشة مرتين وعدد من هاجر منهم فى كلتيهما ، ومحاولة قريش اغراء النجاشي بهم وفشلهم فى ذلك ، ثم تعرفون حصار المسلمين فى شعب بنى هاشم ثلاث سنين حتى أكلوا أوراق الشجر « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » ثم هجرة الرسول الى الطائف وايذاءه من أهلها ، ووفاة خديجة وابى طالب وحزن الرسول عليهما ، ثم عرضه الاسلام على القبائل وبدء اسلام الأنصار وبيعتى العقبة الاولى والثانية ، ثم هجرته الى المدينة واحداث الهجرة ومعجزة نسج العنكبوت وبيض الحمام على باب الغار اخفاء للرسول ، وقصة سراقة وأم معبد وأبى بريدة بن الحصيب واستقبال أهل المدينة وفرحهم بالرسول ، وانشاء أول مسجد فى الاسلام ، وصلاة الرسول أول جمعة فى مسجد بنى سالم ، والأخوة الاسلام بين المهاجرين والانصار ، وأثر الهجرة وسبب التاريخ بها ، والله أسأل أن ينفع بهذه الذكريات العطرة عامة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، انه مجيب الدعاء .

د. محمد محمد الفحام
شيخ الجامع الأزهر



الحمد لله الهادى الى سواء السبيل ، والصلاة والسلام على أكرم رسول بأجل داين الى خير أمة أخرجت للنـاس سيدنا محمد بن عبد الله الذى بعث رحمة للعالمين ، فجاهد فى سبيل الله بالحجة والبرهان فاحسن الجهاد ، وصـبر على ايذاء قومه وسفههم فأحسن الصبر ، وهاجر مع المؤمنين به من مكة الى المدينة لتستقيم لهم عبادتهم فى مكان أمين ولينشروا دينه بعيدا عن عنت الضالين المعوقين .

فتوفر للمؤمنين فى مهجرهم الاسـتقرار ، واطمأنت بهم الدار ، واستقامت للدعوة السبيل ، فشرح الله لها قلوبا غلفا ، واسمع بها آذانا صما ، وفتح الله عـلى هـداها أعينا عميا فجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، وهكذا يجعل الله النصر مع الصبر ، والعاقبـة للمجاهدين المخلصـين : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبةالأمور» .

وبعد : فان من سنن الله الجليلة انه بعث فى كل أمة رسولا يرشدهم الى ما فيه صلاح دنياهم واخراهم ، ويحذرهم مما فيه سوء منقلبهم وعقباهم ، وصدق الله اذ يقول : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » .

ولم يتركهم الله لارشاد عقولهم وافئدتهم فان الانسان بما طبع عليه من غرائز يميل الى حب العاجلة والاقبال على اللذائذ والشهوات والنفور مما يحد نزواته ورغباته ، فلهذا لا يتعب قلبه وفكره بالنظر الى ما وراء دنياه ولا يفكر فى اله لم تشاهده عيناه قال تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة » .

فاذا كانت فطرة الانسان كذلك فان العقول كثيرا ما تغلب على أمرها فلا تهتدى الى ما فيه السعادة لها ، فى أولاها واخراها ، فلهذا تفضل الله فارسل صفوة من البشر اختارهم بعلمه وحكمته ليكونوا معوانا للعقول على اداء وظائفها حتى تهتدى الى بارىء النسم ومنشىء الخلق من العدم وتتعرف على ضوابط الكمالات الانسانية فتتجه بذويها الى الدين الخالص والعمل النافع والخلق الفاضل .

ولما كانت الرسل تبعث حينما يتفاقم الشر بين الناس لتوجيههم الى المثل العليا اعتقادا وقولا وعملا ، ونهيهم عما أركسوا فيه من المآثم ، فلهذا كانوا يلقون من أقوامهم

معارضات شديدة للتباين التام بين الحق الذى جاءوا به وبين الباطل الذى اقامت عليه أممهم واختلط بلحمهم ودمهم ، فلم يبعث نبى الا عارضه قومه وعادوه ، وبسطوا له ولمن آمن به أيديهم والسنتهم بالسوء واخرجوه من وطنه طريدا مع من آمن به منهم أو حملوهم على الخروج فرارا بدينهم ووقاية من ايذائهم .

فها هو ذا ابراهيم خليل الله وأبو الانبياء ، دعاقومه الى أن يتركوا عبادة الكواكب والاصنام ، فوقفوا لدعوته بالمرصاد، ولما ضاقوا بصبره على معارضتهم واذاهم أوقدوا له نارا حامية والقوه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما فهاجر عنهم قائلا : « انى مهاجر الى ربى سيهدين » .

وهذه قرى عاد وثمود وقوم لوط بعد ما حل بها عقاب الله شاهدات بأن ما اصابها ناجم عن غضب الله لرسلهالذين اوذوا فى سبيله من سكانها حتى اذا شارف العذاب ديارهم هجرها انبياؤهم ، وهكذا كان شأن الامم مع انبيائهم من الاضطهاد والايذاء حتى يهاجروا .

فلا غرابة فى أن يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة بعد أن تحجرت من أهلها القلوب وعميت البصائر ، وتحكمت فيهم تقاليد الآباء وعقائد الاجداد ونخوة الجاهلية .

حكمة الهجرة المحمدية

وقد كانت هذه الهجرة من حكم الله تعالى ، فان قريشا لو آمنت به صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر لقال غيرهم من الامم : هؤلاء قوم ولوا عليهم رجلا منهم وجعلوه يدعى النبوة ليملكوا سواهم بهذه الحيلة .

فلهذا شاء العليم الحكيم أن يبغضه أهله بمكة ، وأن يؤمن به الغرباء من أهل المدينة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان ، فتتفتح بذلك قلوب الناس لهذا الدين ، ويقولوا : قوم لم يعمهم التعصب عن قبول الحق فآمنوا ، فماذا علينا لو آمنا مثلهم ؟ .

اعداد الرسول لتحمل الرسالة

دعوة الناس الى غير ما الفوه من عاداتهم شاقة ومرهقة ، وأشد منها أرهاقا واجهادا دعوتهم الى ان يعبدوا الها غير ما يعبدون ، ويؤدوا عبادات غير التى يؤدون ، ويتخلقوا بأخلاق مخالفة لما يألفون .

ولا يختار الله لهذه الدعوة المرتبطة بالعقائد الا صفوة من الرجال امتازوا بالعزم الشديد والخلق الرشيد ، والعقل الراجح والحجة الدامغة ، ينشئهم بعنايته ويصنعهم على عينه وتدبيره ، ويمرنهم على ما يثبت الفؤاد ويستديم مضاء العزيمة ، مهما لقوا فى سبيل غايتهم من صعاب وايذاء .

وكلما اتسع افق الرسالة عظمت اعباؤها ، واشـــتدت حاجتها الى رسول يفي عزمه وصبره وكفايته بمتطلباتهـــا .

ولما كانت رسالة الاسلام شـــاملة للانس والجن الى يوم القيامة ، فلهذا كان لا بد لها من رسول بعيد المدى فى شدة العزم والجلد وسعة الصدر ورجحان العقل وقوة الاقناع ، والمعية الذهن وفسحة العلم والفهم وسمو الروح وطهـــارة الخلق ونظافة العقيدة منذ صباه .

كما أنه لابد أن تكون شريعته صالحة لكل جيل وكل اقليم، وكل لون وكل لسان ليستقيم على منهاجها الذكر والانثى ، والشيخ والفتى ، والعانس والخود .

فلهذا اختار الله لهذه الرسالة الشاملة سيد أولى العـــزم محمداً صلى الله عليه وسلم وكلفه بتبليغها ، ومنحه القرآن معجزة له ودستورا لها .

وقد تضمن هذا الدستور مصالح الدنيا والآخرة فعـــلى أساسه ينشأ المجتمع الفاضل والحياة الرتيبة المتساندة ، فلا يطغى فيه نظام الدنيا على صلاح الدين ، ولا يتعارض فيـــه العمل للآخرة على العمل للاولى ، وصدق الله اذ يقـــول : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » .

ولم يكتف الله بنشأة محمد الصالحة الفاضلة ، بل أمره قبل تكليفه باداء الرسالة أن يعد نفسه لها بقيام الليـــل ، فأنزل عليه قوله تعالى : « يأيها المزمل قم الليل الا قليلانصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقى

عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا أن لك في النهار سبحا طويلا » .

ففي هذه الآيات يكلفه الله تعالى بأن يقوم الليل الا قليلا ويذكر له أسبابا ثلاثة لهذا التكليف ، أولها : انه تعالى سيلقى عليه قولا ثقيلا ، وهو التكليف بتبليغ رسالة الاسلام العامة الشاملة ، وثانيها : ان العبادة الناشئة فى الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ، اى انها تجعله أشد ثبات قدم فى الدعوة وأقوم قولا فيها ، وثالثها : ان له فى النهار سبحا طويلا اى أن له فى النهار تصرفا وتقلبا فى شئونه المختلفة فلا يمنعه القيام بعض الليل من ذلك التصرف .

وانما كان قيام الليل يعين على تحمل أعباء الرسالة لما فيه من تجريد الروح من شواغله سوى الله تعالى ، فلا يرى ببصيرته سواه سبحانه ولا يحس بغير عظمته وسلطانه القاهر فيكون دائم الاستغراق فى شهود جلاله ، متصل المناجاة لعظمته . ولا شك أن هذا الاخلاص الفياض، والمعرفة الرفيعة المستوى لمجده تعالى ، والفناء التام فى عبادته ،كل أولئك يفتح السبيل الى فتوحات ربانية لا حد لها تجعله يستسهل كل صعب فى سبيله فيقتحم العقبات ويذلل الصعاب ويصبر على تحمل الاعباء الثقال .

فلما حقق الله لرسوله الغاية المطلوبة من قيام الليل كلفه بتبليغ الرسالة فقال : « يأيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر » .

مرحلة الدعوة الى الاسلام سرا

لابد للداعى الحكيم من التدرج فى دعوته كيلا يفشل فيها، وهكذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد بدأ بخاصته فدعاهم سرا الى الاسلام ، وأول من آمن به منهم زوجتـه خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فلم يسبقها الى الايمـان أحد من الرجال والنساء بالاجماع كما قاله ابن الاثير .

وممن آمن به فى أول الدعوة ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد كان فى كفالته صلى الله عليه وسـلم ، فان قريشا اصابتهم مجاعة وكان ابو طالب مقلا فى المـال كثير العيال، فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا لنخفف من عياله ، تأخذ واحدا وانا آخذ واحدا ، فانطلقـا وعرضا عليه الامر فوافق ، فأخذ العباس جعفرا وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم عليا فكان عنده كأحـد أولاده الى أن جاءت الرسالة اليه فآمن به على ، وقد ناهز الاحتلام وقـد انتفع على بوجوده مع النبى صلى الله عليه وسـلم اذ لم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان واتباع هوى النفس قبل ان يبادر بالاسلام ، فلما اكرمه الله بالاسلام ازداد زكاة وطهرا .

ومن السابقين الاولين زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى مولى رسـول الله وحبه ، وكان قد أسر فى الجاهليـة ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمتـه خديجة بأربعمـائة درهـم فاستوهبه النبى صلى الله وسلم منها فوهبته اياه ، وجـاء

ابوه وعمه كعب مكة وطلبا ان يفدياه فخيره عليه السلام بين أن يدفعه اليهما او يبقيه عنده ، فاختار البقاء عنده ، فلاماه فلم يرجع وقال لا اختار عليه أحدا .. فقام عليه الصــلاة والســـلام الى الحجر وقال اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وارثه . فطابت انفسهما وانصرفا فدعى زيد بن محمد فلما جاءت الرسالة سارع الى الايمان به صلى الله عليه وســلم ، ثم نسخت سنة التبنى التى كانت معروفة فى الجاهلية بقوله تعالى : « أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » الآية ، فأصبح يدعى زيد بن حارثة .

واول من آمن به من غير اهل بيته من البالغين الاحرار ابو بكر بن ابى قحافة التميمى القرشى ، وكان صاحبا لرسول الله قبل النبوة عالما بما اتصف به من مكارم الاخلاق وتنزهه عن الكذب منذ اصطحبا .

فعندما دعاه الى الاسلام قال : بأبى أنت وامى ! اهل الصدق انت ، اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ،وكان رضى الله عنه معظما فى قريش ، على سعة من المال ومكارم الاخلاق ، سخيا عفيفا حسن المجالسة ، ولذلك كان للرسول بمنزلة الوزير ، فكان يستشيره فى أموره كلها ؛ ولقد شرفه الرسول بهذه الشهادة اذ قال صــلى الله عليـــه وسلم : « ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبى بكر »

وقد عاون الرسول فى الدعوة الى الاســلام سرا ، وكان لايدعو الا من يثق به ، وممن آمن بدعوته عثمان بن عفان بن

أبى العاص الاموى القرشى ، وكان شابا لايتجاوز العشرين من عمره ، ولما علم عمه الحكم باسلامه أوثقه كتافا وقال له : اترغب عن دين آبائك الى دين مستحدث ! وحلف ان لا يحله حتى يدع هذا الدين ، فقال عثمان والله لا ادعه ولا افارقه فلما رأى عمه صلابته فى الحق تركه .

ومنهم الزبير بن العوام بن خويلد القرشى من زوجته صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فى سن الاحتلام ، وكان عمه يعلقه فى حصير ويرسل عليه الدخان ليرجع الى دين آبائه فلم يزده هذا الا ثباتا .

ومنهم عبد الرحمن بن عوف الزهرى القرشى أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد أصحاب الشورى الستة ، اسلم وهو ابن تسع عشرة سنة ، ولما علمت امه حمنة بنت أبى سفيان باسلامه قالت له يا سعد بلغنى انك قد صبأت ، فوالله لايظلنى سقف من الحر والبرد ، وأن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد ، وبقيت كذلك ثلاثة أيام ، فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه أمر أمه ، فنزل فى ذلك قوله تعالى فى سورة العنكبوت : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون » .

وهذه الآية دستور عام فرض الله فيه أن يحسن الانسان الى والديه مسلمين او كافرين وأن يطيعهما فى غير معصية

فانه لا طاعة لمخلوق فى معصـــــية الخالق ، وان المرء غير مسئول عن اشراك والديه أو معصيتهما ، فاليه تعالى مرجـع الجميع فينبئهم بما كانوا يعملون ويجازيهم على عملهم خيرا أو شرا ، وذلك على حد قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

ومنهم طلحة بن عبيد الله التميمى القرشي أحـد العشرة المبشرين بالجنة وأحد أصـحاب الشورى الستة . وسبب اسلامه ما أخرجه ابن سعد عنه قال : حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم افيهم احد من اهل الحرم . قال طلحة : نعم انا . فقال هل ظهر احمد ؟ قلت : من احمد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الانبياء . ومخـرجه من الحرم ، ومهاجره الى نخيل وحرة وسباخ ، قال طلحـة فوقع قوله فى قلبى ، فخرجت سريعا حتى قدمت مـكة ، فقلت : هل كان من حدث ؟ قالوا نعم،محمد الامين تنبأ وقد تبعه ابن أبى قحافة فخرجت حتى أتيت أبا بكر ، فخرج بى اليه فاسلمت فاخبرته بخبر الراهب .

ومن السابقين الاولين الى الاسلام صهيب الرومى ، وكان عبدا ، وعمار بن ياسر العنسى رضى الله عنهم . قال عمار : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة : أعبد وامرأتان وأبو بكر ، وكذلك اسلم أبواه ياسر وسميـة . ومنهم عبد الله بن مسعود ، وقد كان يرعى الغنم لبعض مشركى قريش ، فلما علم بمبعثه صلى الله عليه وسلم بادر

الى تصديقه ولزمه ،.وكان كثير الدخول على رســـول الله لا يحجب عنه ، وكان يمشي امامه ويوقظه اذا نام .

ومن السابقين الاولين أبو ذر الغفارى ، وكان من أعراب البادية . فصيحا حلو الحديث . ولما بلغه مبعث رســول الله صلى الله عليه وسلم قال لاخيه اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم انه نبى يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتنى . فانطلق حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ، ثم رجع الى أبى ذر فقال : رأيته يأمر بمكارم الاخلاق ويقول كلاما ما هو بالشعر ، فقال : ما شفيتنى مما أردت ، فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فـأتى المسجد فالتمس النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يعـرفه وكره أن يسأل عنه ، لما يعرفه من كراهة قريش لـــكل من يخاطبه ، حتى اذا أدركه الليل رآه على فعرف انه غـريب فأضافه عنده ولم يسأل أحد منهما صاحبه عن شيء ، فان من عادة العرب أن لا يسأل أحدهم ضيفه عن سبب قدومه الا بعد ثلاث .

فلما أصبح احتمل قربته وزاده الى المســجد وظل ذلك اليوم لا يراه الرسول حتى أمسى فعاد الى مضجعه ، فمر به على فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله الذى أضيف به بالامس ؟ فأقامه فذهب معه لا يســأل أحدهما صـــاحبه عن شيء .

حتى اذا كان اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ، ثم قال له على : الا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال : ان أعطيتنى عهدا

وميثاقا لترشدني. فعلت ، ففعل فأخبره ، قال علي : فإنه على حق وهو رسول الله ، فاذا أصبحت فاتبعني ، فاني ان رأيت شيئا أخافه عليك قمت كأني أريق الماء ، فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل فانطلق يتبع أثره حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه وسمع من قوله وأسلم مكانه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع الى قومك فاخبرهم حتى يأتيك امري » ، قال : والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى اتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . فقام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه وقال : ويلكم ! أولستم تعلمون انه من غفار وأن طريق تجارتكم الى الشام عليه فانقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا عليه فأكب العباس عليه . رواه البخاري ، وكان رضي الله عنه من أصدق الناس قولا وأزهدهم في الدنيا .

ومن السابقين الاولين سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر .

ومنهم خالد بن سعيد بن العاص الاموي القرشي ، وكان أبوه سيد قريش ، اذا اعتم لم يعتم قرشي اجلالا لمقامه ، وكان سعيد قد رأى في منامه انه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلصه منها ، فجاءه وقال : الام تدعو يا محمد ؟ قال : « ادعوك الى عبادة الله وحده لاشريك له ، وان تخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، والاحسان الى والديك ، وان لا تقتل

ولدك خشية الفقر ، وان لاتقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن ، وان لا تقتل نفسا حرم الله قتلها الا بالحق ، والاتقرب مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وان توفى الكيل والميزان بالقسط ، وان تعدل فى قولك ولو حكمت على ذوى قرباك وأن توفى لمن عاهدت » فأسلم رضى الله عنه، فغضب عليه أبوه وآذاه حتى منعه القوت ، فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه فى ضواحى مكة ، واسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد .

فأنت ترى من هذه النماذج التى ذكرناها طائفة من الاشراف آمنت به صلى الله عليه وسلم ولم يكن معه سيف يضرب به الاعناق حتى يطيعوه مغلوبين على أمرهم ولا مال أو عرض من أعراض الدنيا حتى يؤمنوا به طمعا فيه ، بل منهم من ترك ثراء أبيه العريض وجاهه ليكون جنديا من جنود الحق، ومنهم من كان واسع الثراء عظيم الجاه كأبى بكر وعثمان وخالد بن سعيد وهؤلاء لم يغرهم جاههم وثراؤهم حتى يستحبوا العمى على الهدى .

وترى طائفة أخرى من الموالى اختاروا الأسى والحرمان وغشيان الشدائد وهم مهتدون بمشكاة الحق على السلامة والشبع ولين الحياة وهم مشركون بالله ما لم ينزل به سلطانا .

مدرسة الدعوة والدعاة

ولما وصل عدد المسلمين الى ثلاثين أصبح ضرورة أن يضمهم مكان يستمعون فيه الى توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم وهدايته ، حتى يتمكن الايمان من قلوبهم وتثبت دعائمه فى نفوسهم ، وتجرى حججه على السنتهم فى المعركة المقبلة بين الحق والباطل ، وكان لابد لهذا المكان أن يكون بعيدا عن مسامع قريش وعيونهم ليكون من فيه بمأمن من شرورهم فاتخذ النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم المخزومى مدرسة للدعوة والدعاة ، وكانت خارج مكة وكان الارقم من السابقين الاولين الى الاسلام .

فكانت هذه الدار مدرسة للدعوة والدعاة الذين سوف يحملون مشاعل الحق ويرفعون لواءه فى العالمين ، كماكانت دارا للحكمة يعالج فيها الرسول بحكمته جراح القلوب وآلام النفوس والأبدان من تأنيب قريش وتوبيخهم وايذائهم لمن آمن من ابنائهم ومواليهم .

وكان لهذه المدرسة اثرها فى أهل مكة ، اذ دخل بسببها من رجالهم ونسائهم عدد يمكن أن يكون قاعدة للانطلاق بالدعوة والجهر بها بين الناس .

مرحلة الجهر بالدعوة

مكث النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يدعو الى الاسلام سرا ، حتى اذا أصبح لديه عدد من المسلين يسمح بدخول معركة الجهر بدعوة الله نزل عليه قوله تعالى :

« فاصدع بما تؤمر » اى اجهر به « وأعرض عن المشركين »
فصعد النبي على الصفا وجعل ينادي بطون قريش بقوله :
يا بني فهر يا بني عدى يا بني زهرة ، فجعل الرجل اذا لم
يستطع الخروج أرسل رسولا لينظر الخبر ، فلما اجتمعوا
قال صلى الله عليه وسلم:«أرايتم لو أخبرتكم أن خيلابالوادى
تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقى» . قالوا : نعم ماجربناعليك
كذبا ، قال : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال
أبو لهب : تبا لك . الهذا جمعتنا .. فانزل الله فى شأنه :
« تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ،
سيصلى نارا ذات لهب وامراته حمالة الحطب فى جيدها
حبل من مسد »

والمراد من حمل امراته للحطب اشعال نار الفتنة ضد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانت تلقيه من الاكاذيب
بين نساء قريش .

انذار عشيرته الأقربين

ثم انزل الله تعالى عليه « وانذر عشيرتك الأقربين »، وهم
بنو هاشم وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد جده عبد مناف
وامره بالتواضع للمؤمنين بقوله : « واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين » . وامره بالتبرؤ من عمل عشيرته ان لم
يستجيبوا اليه بقوله : « فان عصوك فقل انى برىء مما
تعملون » .

فجمعهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لهم : « ان الرائد لا يكذب اهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ماكذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا ، وانها لجنة ابدا أو لنار ابدا » . فتكلم القوم كلاما لينا سوى عمه ابى لهب فانه قال خذوا على يديه قبل ان يجتمع عليه العرب ، فان أسلمتموه اذن ذللتم وان منعتموه قتلتم . فقال ابو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا . ثم انصرف الجمع مخالفين له .

ضيق قريش والتهديد بالايذاء

ومع مخالفتهم له لم يتعرضوا لايذائه حتى عاب آلهتهم ، وكل ما كانوا يفعلونه انهم كانوا يسخرون به فى مجالسهم ، فاذا مر عليهم قالوا : هذا ابن ابى كبشة يكلم من السماء وهذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء ، واستمروا على ذلك حتى عاب آلهتهم لما دخل المسجد الحرام فوجدهم يسجدون للاصنام ، اذ ينهاهم قائلا : « ابطلتم دين ابيكم ابراهيم » . فقالوا « انما نسجد لها تقربا الى الله » فعاب صنعهم واظهر لهم ضعف آلهتهم وهوانها ، وسفه عقولهم . فثارت فيهم حمية الجاهلية ، وغضبوا لآلهتهم التى وجدوا على عبادتها آباءهم فذهبوا الى عمه أبى طالب الذى أخذ على نفسه

حمايته ، فطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينه أو يكفه عما يقول، فردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه .

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى فى دعـــوته غير عابىء بعداوتهم له ورد على احتجاجهم بتقليد الآباء بنحو قوله تعالى فى سورة المائدة : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون » ، وقوله فى ســـورة الزخرف : « بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » وقوله : « قل أولو جئتكم بأهدى مماوجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون » .

فذهبوا الى عمه أبى طالب وقالوا له : ان لك سنا وشرفا ومنزلة منا ، وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن اخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على شتم آبائنا وتســـفيه عقولهم وعقولنا وعيب آلهتنا ، فاما إن تكفه عنا او ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك احد الفريقين ، ثم انصرفوا .

فعز على ابى طالب فراق قومه ، ولكنه لم يطب نفســـا بالتخلى عن أبن اخيه ، فقال : يا ابن أخى ، أن القوم حدثونى فى عيبك لآلهتهم وتسفيه عقولهم وعقول آبائهم وحدثه عمـــا هددوه به ، ثم قال : فابق على نفسك ولا تحملنى من الامـــر مالا اطيق .

فظن الرسول ان عمه خاذله فقال : « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـــذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله أو اهلك دونه » ثم بكى وولى،

فقال أبو طالب : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال : اذهب فقل ما أحببت ، والله لا أسلمك ابدا .

موقف كريم لابى طالب

كان النبى صلى الله عليه وسلم يوما عند ابى طالب يدعوه الى الاسلام ، فجاءه جماعة من قريش ومعهم عمارة بن الوليد وعرضوا عليه أن يتخذه ولدا ويعطيهم مكانه النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، فقال أبو طالب: والله لبئس ماتساوموننى أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى لتقتلوه . هذا والله مالا يكون ابدا . وقال حين تروح الابل وترجع من مراعيها فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم ، وقال مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة
ابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتنى وزعمت (1) أنك ناصحى
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرفت دينا لا محالة أنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

(1) الزعم : القول الحق والباطل ضد ، والمراد هنا الاول ، واكثر ما يقال فيما يشك فيه .

ايذاء الرسول والاستهزاء به

اشتد الامر على المشركين وتواصـــوا فيما بينهم بايذاء المسلمين وتعذيبهم رغبة فى أن يفتنهم ذلك عن دينهم ، ولم يتورعوا عن ايذائه صلى الله عليه وسلم على الرغم من منعته ببنى هاشم وبنى المطلب .

وكان من أعظمهم ايذاء لرسول الله عمرو بن هشام الذى لقب بأبى جهل لكثرة جهله عليه قال يوما : يا معشر قريش ان محمدا قد اتى ما ترون من عيب دينكم وآلهتكم وتسـفيه عقولكم وسب آبائكم ، لاجلسن له غدا بحجر لا اطيق حمـله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه . . فأسلمونى عنـد ذلك أو امنعونى ، فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلمـا اصبح أخذ حجرا وجلس ينتظر رسول الله وهو قادم لصلاة الغداة ، وقريش فى أنديتهم ينتظرون ما هو فاعل ، فغدا رسول الله كعادته الى المسجد للصلاة ، فلما سجد اقبـل ابو جهل بالحجر ليرضخ به راسه، فلما دنا منه رجع مهزوما ممتقعا لونه ، فأقبل اليه رجال من قريش يسألونه : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : عرض لى فحل من الابل مارأيت مثله هم أن يأكلنى ، فلما ذكر ذلك للرسول قال : « هذا جبريل ولو دنا لأخذه » .

وكان كثير النهى للرسول عن الصلاة عند البيت ، فقال له مرة حين رآه يصلى : الم انهك عن الصلاة هنا . فأغلظ له

الرسول القول وتوعده ، فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا . فتوعده الله بقوله : « كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع نادية سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

ومن أحداثه مع الرسول ما رواه ابن مسعود . كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى ، فقال أبو جهل : الا رجل يقوم الى فرث جزور بنى فلان حتى اذا سجد محمد وضعه بين كتفيه ؟ فقام اشقاهم عقبة ابن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث ووضعه بين كتفيه وهو ساجد ، وثبت النبى صلى الله عليه وسلم وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك . ولم يقدر احد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه لضعفهم عن مقاومة عدوهم . فانطلق منطلق الى فاطمة وهى جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت تسبهم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال : اللهم عليك بقريش ، ثم سمى فقال : اللهم عليك بعمرو ابن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد ، قال عبد الله بن مسعود : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا الى القليب : قليب بدر . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واتبع أصحاب القليب لعنة » .

تلك خلاصة ما رواه البخارى عن ابن مسعود فى ابوابه المختلفة ، وقول ابن مسعود انه راى من سماهم الرسول صرعى يوم بدر الخ .. محمول على أكثرهم ، فان عقبة بن ابى معيط مات صبرا بعد ان رحلوا عن بدر مرحلة ، وعمارة ابن الوليد هلك فى أرض الحبشة ، وأمية بن خلف وان كان قتل فى بدر ولكنه لم يطرح فى القليب .

ومن أشد مالقيه النبى صلى الله عليه وسلم ما صنعه عقبة بن أبى معيط غير ما تقدم . روى البخارى فى صحيحه فقال : « بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ اقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .

وكان العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص شديد العداوة لرسول الله ، وكان يقول : غر محمدا وصحبه زعمهم ان يحيوا بعد الموت ، ان هى الا حياتنا الدنيا وما يهلكنا الا الدهر . فرد الله عليه فى سورة الجاثية قائلا : «وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون» .

وكان عليه دين لخباب بن الأرت من المسلمين فتقاضاه اياه ، فقال العاص : أليس محمد الذى أنت على دينه

يزعم ان فى الجنة ما يبتغى أهلها من ذهب وفضة وغيرهما . قال : خباب بلى . قال : فأنظرنى الى هذا اليوم فسأوتى مالا وولدا واقضيك دينك ، فأنزل الله فيه فى سورة مريم : « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ، اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا » .

وكانت قريش تصفه صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر ، وقد تبعوا فى ذلك الوليد بن المغيرة وكان الوليد من عظماء قريش وكان فى سعة من المال وعلى درجة عالية من الفصاحة والبلاغة سمع مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . قال : اعد ماتقول فأعاده فقال : « والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ومايعلى عليه ومايقول هذا بشر » ثم قال لقومه : « والله مافيكم رجل اعلم بالشعر منى ولا أعلم برجزه منى . والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه . . »

فقالت قريش : صبأ والله الوليد ، لتصبأن قريش كلها ، فقال ابو جهل : أنا أكفيكموه . . فتوجه اليه حزينا وكلمه بما بعث فى نفسه حمية الجاهلية فأتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يهوس ، وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه

يتكهن ، وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط، وتزعمون انه كذاب ، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب . فقالوا في كل ذلك : اللهم لا . ثم قالوا فما هو؟ ففكر قليلا ثم قال : ما هو الا ساحر ، اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ، فارتج النادى فرحا بعودته الى صفوفهم .

فأنت ترى ان ذوقه الادبى الراقى هداه الى الحق ، ولكن غلبت عليه شقوته وحميته الجاهلية فنكص على عقبيه بما قال ، وهل يعيب الحق أن يغلب بوضوحه وآياته الباطل ودواعيه فى افئدة طلابه فينصرفوا اليه تاركين اهلهم واولادهم وذويهم فى رجسهم يعمهون ، فكيف وصفه بالسحر وهو الحق المبين .

ولقد تبعت قريش زعيمها هذا فوصفته صلى الله عليه وسلم بالسحر وانهم لكاذبون .

ولقد أنزل الله فى شأنه فى سورة المدثر مخاطبا رسوله : « ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر ، وما ادراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر » .

كما أنزل فيه في سورة «ن» : « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم » ولا ريب أن ما نزل فيه من القوارع يتناسب مع نكوصه بعد معرفة الحق وآياته ، واذا كانت خطيئات ذوى الحجى والفصاحة لاتعدلها خطيئـــات من دونهم فعقابهم بالقوارع ينبغى أن يفوق عقاب من عداهم .

وكان ابو لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم من أشـــد الناس وأعنفهم عليه ، وكان جارا له، فكان يرمى القذر ببابه، فكان عليه الصلاة والسلام يطرحه ويقول : يابنى عبد مناف ، أي جوار هذا ! وكانت جميل بنت حرب زوجته على دينه وعلى عداوته للرسول فكانت تسبه وتتكلم فيه بالنمائم خصـــوصا بعد أن نزلت فيهما سورة : « تبت يدا أبى لهب » .

وكان صلى الله عليه وسلم أمعانا منه فى تبليغه رســالة ربه يطوف بالناس فى منازلهم قائلا : « يأيها الناس إن الله يأمركم أن تعبــدوه ولا تشركوا به شيئا » وابو لهب وراءه يقول : « يأيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم »، وكذلك كان يفعل عندما يتجه الى القبــــائل أو الحاج فى الموسم .

قال الزهرى : حدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر ابن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا : أقام النبى صــلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من اول نبوته مستخفيا ، ثم اعلن فى الرابعة فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين فوافى

الموسم كل عام يتبع الحاج فى منازلهم وفى المواسم بعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد احدا ينصره ولا يجيبه حتى أنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: «يأيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فاذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة » وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فأنه صابىء كذاب فيردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ويؤذونه ويقولون اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ، وهو يدعوهم الى الله ويقول اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا .

قال : وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن حفصة وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وعدس وبنو النضر وكندة وكلب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة فلم يستجب منهم أحد . انتهى .

فهذا الخبيث أبو لهب ـ وهو عمه ـ كان عليه وعلى الدعوة أشد من الاباعد وكان يتبعه ليصد عن سبيله فاذا علموا انه عمه كان ذلك باعثا على النفور منه ومن دعوته اذ يقولون « لو علم أهله أنه على الحق لسبقوا غيرهم الى اتباعه » .

ومن المستهزئين الذين آذوا الرسول بسخريتهم ، وصدوا بها عن سبيل الله النضر بن الحارث العبدرى من بنى عبد الدار بن قصى ، كان اذا جلس الرسول الى الناس يحدثهم

عما أصاب المكذبين قبلهم قال النضر هلموا يا معشر قريش أحدثكم فأنا احسن منه حديثا ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما احادبث محمد الا أساطير الأولين .

وقد أنزل الله فيه فى سورة لقمان « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم »

ولقد كفاه الله هؤلاء المستهزئين كما قال سبحانه فى سورة الحجر « أنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون » .

فقد أهلكهم الله تعالى بعد الهجرة فمنهم من قتل كأبى جهل والنضر بن الحارث ومنهم من ابتلاه الله بأمراض عنيفة هلك بسببها كأبى لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة ومنهم من مات صبرا بعد أسره فى بدر وهو عقبة بن أبى معيط .

هدنة فى الايذاء باسلام حمزة

كان ايذاء قريش للرسول سببا لايمان حمـــزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان اسـلامه مبعثا لعزة المسلمين وهدنة فى ايذاء الرسول صـــاى الله عليه وسلم . وسببه أن أبا جهل بالغ فى ايذائه صلى الله عليــه وسلم وتنقيصه والتهوين من أمر دينه . فأخبرته مولاة ابن جدعان بذلك وعيرته به ، فجاء المسجد فعلا رأس أبى جهل بقوسه فشجه شجة منكرة ، وقال اتشتمه وانا على دينـه ؟ فرد ذلك على ان استطعت ، فقام رجال من بنى مخزوم قوم أبى جهل يريدون نصرته على حمزة ، فقال : دعوا ابا عمـاره فانى والله سببت ابن أخيه سبا قبيحا فسكتوا عنه، وكفت قريش أذاها عن الرسول قليلا وكان اسلامه ــ رضى الله عنه ــ سنة ست .

وكان حمزة أعز فتى فى قريش وأشده شـكيمة ، وقال حمزة حين أسلم :

حمـــدت الله حين هـدى فـؤادى
الى الاســـــلام والدين الحنيــف
لـــدين جـــاء من رب عزيـــز
خبيـــر بالعبـــاد وبهـم لطيف

اذا تليت رســـائله علينـــا
تحدر دمـــع ذى اللب الحصـــيف
رســـائل جـاء احمد من هـــداها
بآيات مبينـــة الحـــروف
واحمد مصـــطفى فينـــا مطـــاع
فلا تغشـــوه بالقـــول العنيـف
فلا والله نســـلمه لقـــوم
ولمـــا نقض فيهـم بالســـيوف
ونتـــرك منهم قتـــاى بقـــاع
عليهـــا الطير كالـورد العـــكوف

... الى آخر ما قال .

ويروى أن حمزة لما عاد الى بيته وسوس اليه الشـيطان كيف تترك دين آبائك الى دين مســـتحدث لا تعرف عنه شيئا ، وأنه بات ليلة لم يبت مثلها ، ثم قال اللهم ان كان هذا رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى ، والا فاجعل لى ممـا وقعت فيه مخرجا ، ولما أصبح توجه الى الرسول صـلى الله عليه وسلم فقـال : ياابن أخى انى قد وقعت فى أمـر لا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلى على ما لا أدرى أهو رشد ام غى ، شديد ، فحدثنى حديثا فقد اشتهيت يا ابن اخى ان تحدثنى ، فأقبل صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظهوخوفه وبشره فألقى الله فى قلبه الايمان بما قاله صاى الله عايه وسلم فقال : اشهد انك الصادق ، فاظهر دينك فوالله مـا احب ان لى ما اظلته السماء على دينى الاول .

مساومة سخية ولكنها مرفوضة

من اعظم الأدلة على صدق محمد وانه رسول من عنـد الله أن قومه عرضوا عليه عروضا سخية فى جملتها الملك فأباها ورضى بالكفاف فى دنياه فى سبيل اصـلاح المجتمع وتبليغ رسالة ربه لهداية البشر الى الصراط السوى ، وكان امره كما قال تعالى : « ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله » .

وقصة هذه العروض انه لما اسلم حمزة ورأت قريش أن الصحابة يزيدون وأن الايذاء لم يجد ، اجتمعوا للتشـاور وكان فيهم على ما أخرجه ابن اسحاق عن ابن عباس عتبة وشيبة ابنا ربيعة وسفيان بن حرب والاسود بن عبدالمطلب والوليد بن المغيرة وابو جهل وامية بن خلف والعـاص بن وائل وغيرهم .

وكان عتبة بن ربيعة من بنى عبد شمس بن عبد مناف، وكان سيدا مطاعا فى قومه ، فأشار عليهم قائلا : يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد فأعرض عليه أمورا عله يقبل بعضـها فنعطيه اياها ويكف عنا . فقالوا يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه . فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى المسجـد وقال : « ياابن اخى انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسبا ونسبا ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت احلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم . فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيهـا ، لعلك تقبل منا بعضها » فقال عليه السلام : يا ابا الوليـد

اسمع . فقال : يا ابن اخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا حتى لانقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ،وان كان هذا الذى ياتيك رئيا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه او نعذر (١) فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : أقد فرغت يا أبا الوليد ، قال نعم ، قال فاسمع منى . فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت :

« بسم الله الرحمن الرحيم • حم • تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون • قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون • قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له

(١) بفتح النون وضمها ، من عذر أو أعذر ، أى يرتفع عنا اللوم — من المصباح ، والرئى الجنى يرى فيحب .

اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون » .

فأمسك عتبة بفمه وناشده الرحم أن يكف عن ذلك خشية ان ينزل بهم ما فيه من الوعيد المماثل لمن قبلهم ، ثم عاد الى بيته ولم يرجع الى قومه فظنوه قد اسلم . فذهبوا اليه وسألوه فى ذلك ، فقال : والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر . يا معشر قريش أطيعونى فاجعلوها لى ، خلوا بين الرجل وما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وأن يظهر على العرب فعزه عزكم ، فقالوا : لقد سحرك محمد ، فقال : هذا رأيى فيه فأصنعوا مابدالكم .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم أتاه جماعة من أشرفهم ، وعرضوا عليه ما عرضه عتبة بن ربيعة من المال والشرف فيهم أو الملك أو العلاج من الجن ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما بى ما تقولون ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على

كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوا على أصبر لأمر الله بينى وبينكم .

فقالوا له : فان كنت غير قابل منا ما عرضناه عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس اضيق بلاء ولا اقل مالا ولا أشد عيشا منا ، فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا . وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها انهارا كالشام والعراق ، ويبعث لنا من مضى من آبائنا ويكون فيهم قصى فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل، وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويرجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشى فى الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ، أن ربك ان شاء فعل ، فانا لن نؤمن لك الا أن يفعل . فقام صلى الله عليه وسلم وتركهم فى غيهم يعمهون .

وروى ابن اسحق أن أبا جهل بعد هذا اللقاء اقسم ليرضخن رأس الرسول بحجر غدا ، فلما دنا منه رجع منهزما ممتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده ، وقال : عرض لى فحل ابل ما رأيت مثله فهم أن يأكلنى ، قال ابن اسحق فذكر لى أنه صلى الله عليه وسلم قال : ذاك جبريل لو دنا لأخذه .

الفصل ما شهدت به الأعداء

كان النضر بن الحارث العبدرى من عتاة المشركين أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يشترى لهو الحديث ليضل الحارث عن سبيل الله ، ولكن الله أنطقه بالحق فى مجلسه مع قومه . فقد روى البيهقى وابن اسحق عن ابن عباس ان النضر بن الحارث كان من أساطين قريش وانه قال لهم : يامعشر قريش والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد . قد كان محمد فيكم اصدقكم حديثا واعظمكم أمانة ، حتى اذا رأيتم الشيب فى صدغيه، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر . لا والله ما هو بساحر ، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون .

فلما قال ذلك بعثوه مع عقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود فسألاهم عنه عليه السلام بعد ان أخبراهم بصفته وقالا لهم انكم أهل الكتاب الأول ، وعندكم علم ليس عندنا من علم الأنبياء فقالوا لهما : سلوه عن ثلاثة فان أجابكم عنها فهو نبى مرسل (١) وفى رواية ان أجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبى ، وان أجابكم بأنها من أمر الله فهو نبى ، وفى أخرى ان أجابكم عن كلها أو لم يجب عن شىء فليس بنبى ،وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبى مرسل . سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر ويعنون أهل الكهف ، وعن رجل طواف (يعنون ذا القرنين) وعن الروح ما هو . فقال لهم صلى الله عليه وسلم

(١) أى ولو بطريق الاجمال عن الروح فانها فى كتابهم من أمر الله .

أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله ، فلبث الوحى اياما ثم نزل قوله تعالى عتابا لنبيه : « ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلـك غدا الا أن يشاء الله » وأنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا في سورة الكهف ، وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين ، وقال فيما سألوه عن الروح « قل الروح من أمر ربى » .

وفى البخارى عن رواية عبد الله بن مسعود قال : «بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو متكيء على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، فقالوا : ما رابكم اليه ــ اى ما شككم فيه حتى احتجتم الى السؤال عنه وقال بعضهم : لا ، لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ــ وهو عدم بيانه لهم فانه علامة على نبوته وهم يكرهون ذلك ــ فقالوا : سلوه ــ فسألوه عن الروح فأمسك فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى اليه فقمت مقامى فلما نزل الوحى قال: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » . وهذا الحديث يدل على ان اليهود سألوه بالمدينة ــ كما سأله المشركون بمكة عن ذلك ــ وانه اجابهم كما اجاب قريشا . وكلتا القصتين دالتان على نبوته صلى الله عليه وسلم والفضل ما شهدت به الاعداء .

اسـلام عمـر

كان عمر بن الخطاب من اشد الناس على الرسول والمؤمنين .. وقد من الله عليه بالاسلام ببركة دعاء رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، أخرج الحاكم وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه : « اللهم أيد الاسلام بعمر بن الخطاب »

وروى ابن سعد والبيهقى عن ابن عمر رفعه بلفظ « اللهم اعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب » صححه ابن حبان (١) ولعله صلى الله عليه وسلم أفرد عمر مرةبالدعاء وجمعه مع أبى جهل فيهمرة أخرى، أودعا بالثانى أولا ثم أوحى اليه ان أبا جهل لن يسلم فأفرد عمر ، وكان اسلامه عقب الهجرة الاولى الى الحبشة كما قاله ابن اسحق، وذكر ابن سعد عن ابن المسيب انه كان فى ذى الحجة سنة ست من المبعث ، وحكى ابن الجوزى فى بعض كتبه الاتفاق عليه .

وكان اسلامه بعد اسلام حمزة بثلاثة ايام ، وقد تقدم انه كان سنة ست أيضا ، وروى أبو نعيم عن ابن عباس قال : سألت عمر عن اسلامه قال : خرجت بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام . وذكر القصة ، وهو فيها يتفق مع ابن سعد . اما على قول ابن اسحق السابق فلا يكون فى السادسة ، لأن الهجرة الى الحبشة كانت فى الخامسة واسلام حمزة كان فى السادسة كما ذكرنا .

وكان عدد المسلمين وقت اسلامه بضعة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة كما ذكره السهيلى .

وجاء فى فتح البارى فى مناقب عمر من رواية ابن أبى خيثمة عن عمر : لقد رأيتنى وما أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسعة وثلاثون فكملتهم اربعين فأظهر الله دينه وأعز الاسلام ، وهذا محمول على أن عمر لم يطلع على

---

(١) جاء فى الدر ان الحديث اشتهر على الالسنة بلفظ احب العمرين ، ولا اصل له فى شىء من طرق الحديث بعد الفحص البالغ . انتهى من شرح الزرقانى .

الزائد لأن غالب من أسلم كان يخفيه خوفا من المشركين ، وكان عمر فى شركة شديدا على المسلمين . فلذا لم يعـــلم بباقيهم ، ولما أسلم عمر أنزل الله تعـــالى : « يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » رواه البزار .

وسبب اسلامه كما رواه أسامة بن زيد عن أبيه عن جده اسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال لنـــا عمر أتحبون ان أعلمكم كيف كان بدء اسلامى ؟ قلنا نعم . قال : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينما أنا فى يوم شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق المدينة اذ لقينى رجل من قريش (١) قال أين تذهب ؟ انك تزعم أنك هكذا . وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك قلت : وماذاك ؟ قال : أختك (٢) صبأت : فرجعت مغضبا . الى أن قال : وقد ضم الرسول الى زوج أختى رجلين ، فجئت فقرعت الباب . فقيل : من ؟ قلت : ابن الخطاب ، وكان القوم جلوسا يقرءون صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا ، وقال نسوا الصحيفة من أيديهم . فقامت المرأة ففتحت لى فدخلت عليها فقلت : ياعدوة نفسها قد بلغنى أنك صبوت ، ثم ضربتها فسال الدم . فلما رأت الدم بكت وقالت : يابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اســـلمت . قال فدخلت وأنا مغضب فاذا كتاب فى ناحيـــة البيت . فقلت : ما هذا الكتاب ؟ أعطنيه فقالت : لا اعطيكه ، لست من أهله ، انت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر ، ولا يمسه الا المطهرون ، قال : فلم ازل بها حتى أعطتنيه .

---

(١) هو عبد الله النجام . (٢) فاطمة وتلقب بام جميل

. وفى الصفوة قال : أعطونى هذا الكتاب . وكان عمر يقرأ الكتب ، قالت أخته : لا أفعل ، قلت : ويحك وقع فى قلبى مما قلت فأعطنيها (١) انظر اليها وأعطيك من المواثيق ان لا أخونك حتى تحوزيها حيث شئت ، قالت : انك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لايمسه الا المطهرون ، فخرج ليغتسل فخرج خباب (كان خباب أحد الرجلين وكان يقرئهما القرآن) فقال : أتدفعين كتاب الله الى كافر ، قالت : نعم . انى أرجو ان يهدى الله أخى . فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه .

قال اسلم يروى عن عمر : فاذا فيه (أى فى الكتاب) بسم الله الرحمن الرحيم . فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت .. زاد فى رواية البزار : فجعلت أفكر من أى شىء اشتق (٢) ورميت بالصحيفة من يدى ، ثم رجعت الى نفسى (٣) فاذا فيها : « سبح لله مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم » ، فكلما مررت باسم من أسماء الله ذعرت ثم ترجع الى نفسى حتى بلغت : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » الى قوله تعالى : « ان كنتم مؤمنين » فقلت أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

وفى رواية ابن عساكر وأبى نعيم عن ابن عباس والدار قطنى عن أنس كلاهما عن عمر ، فقلت : أرونى هذا الكتاب ، فقالوا : انه لا يمسه الا المطهرون . فقمت فاغتسلت ، فأخرجوا لى

---

(١) اى الصحيفة . (٢) اى فاخذت الصحيفة .
(٣) فانهم لا يعلمون فى الجاهلية ان الرحمن الرحيم من اسماء الله تعالى .

صحيفة فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم » فقلت : أسماء طيبة طاهرة : « طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى » الى قوله تعالى : « له الأسماء الحسنى » فعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش !

وعند الدارقطنى فقام فتوضأ واخذ الصحيفة وكذا ذكره ابن اسحاق وانه تشهد لما بلغ : « فلا يصدنك عنها » وزاد يونس انه كان فيها مع سورة طه سورة : « اذا الشمس كورت » وان عمر انتهى فى قراءتها الى قوله تعالى : « علمت نفس ما أحضرت » ويجمع بين هذه الروايات بأنه جمع بين الوضوء والغسل . وانه وجد السور الثلاث فى صحيفة أو صحيفتين أو أكثر فقرأها وتشهد عقب ما ذكـــر فى الروايات من كل سورة ، وفى الصفوة فلما بلغ : « اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » قال « ما ينبغى لمن يقول هذا ان يعبد معه غيره دلونى على محمد » .

قال أسلم فى رواية عن عمر : فخرج القوم(١) يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه منى وحمدوا الله وقالوا يا ابن الخطاب : أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال : « اللهم اعز الاسلام بعمرو (٢) أو

---

(١) اى الدين كانوا عند اخته والمراد بهم زوجها وخباب بن الارت احـــد الرجلين الدين ضمهما النبى صلى الله عليه وسلم الى سعيد وكان يقرئهما القرآن والرجل الثانى غير معروف وكان صلى الله عليه وسلم يجمـــع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة يكونان معه ويصيبان من طعامه كما رواه اسلم عن عمر .

(٢) أى ابن هشام ، وكنيته أبو الحكم ثم كنى بأبى جهل لكثرة جهله عـــن النبى وأصـــحابه .

عمر » قال عمر : « فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى اسفل الصفا (١) فقرعت الباب ، قيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب قال : وقد عرفوا شدتى على رسول الله ولم يعلموا باسلامى فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم : « افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده » .

وروى أن قائل ذلك حمزة ، ونص هذه الرواية فلما رأى حمزة وجل القوم منه قال : فانه أن يرد الله به خيرا يتبع النبى صلى الله عليه وسلم ، وان يرد غير ذلك كان قتله هينا علينا ، والنبى صلى الله عليه وسلم يوحى اليه .

قال اسلم يروى عن عمر : فدخلت عليه واخذ رجلان بعضدى (٢) حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ارسلوه » فأرسلونى ، فجلست بين يديه فأخذ بشبابى فجذبنى اليه ثم قال : « اسلم يا ابن الخطاب .. اللهم اهد قلبه (٣) قلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة واحدة سمعت بطريق مكة .

وكان الرجل اذا أسلم استخفى ، زاد أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس عن عمر فقلت يارسول الله السنا على

---

(١) هى دار الارقم بن أبى الارقم المخزومى وكان خباب مع عمر عند ذهابه الى الرسول .

(٢) روى ان حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره .

(٣) وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم : اللهم هذا عمر بن الخطاب ، اللهم اعز الدين بعمر بن الخطاب .

الحق ان متنا أو حيينا ؟ قال : « بلى .. والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم » فقلت : ففيم الخفاء يا رسول الله ؟ علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : « ياعمر انا قليل .. وقد رأيت ما لقينا » فقال : والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان . ثم خرج فى صفين أنا فى احدهما وحمزه فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الينا فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها . فسماه رسول الله يومئذ الفاروق .

ثم نعود الى رواية اسلم عن عمر قال : فما زال الناس يضربوننى واضربهم ، فقال خالى (١) ما هذا ؟ قالوا : ابن الخطاب .. فقام على الحجر واشار بكمه وقال : انى قد أجرت ابن أختى . قال : فانكشف عنى الناس .

وعن ابن اسحق فى حديث ابن عمر أن العاص بن وائل السهمى اجاره منهم حينئذ فيحتمل أنهما معا اجاراه .

وروى البخارى عن ابن عمر قال : « بينما عمر فى الدار خائفا اذ جاءه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال ما بالك قال زعم قومك أنهم سيقتلوننى لأنى أسلمت . قال لا سبيل اليك . فخرج العاصى فلقى الناس قد سأل بهم الوادى فقال : اين

---

(١) يحتمل انه ابو جهل او اخوه الحارث بن هشام ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومى وهشام وهاشم اخوان ، فأبو جهل وأخوه الحارث ابنا عم امه وعصبة الأم ــ أخوال لاولادها عند العرب .

تريدون ؟ قالوا : نريد ابن الخطاب الذى قد صبأ . قال : لاسبيل اليه . فكر الناس وانصرفوا عنه .

ويجمع بين هذه الروايات بأن العاص اجـــاره مرتين : احداهما مع خاله والأخرى وحده بعد رجوعه الى داره .

وما ذكرناه من الروايات لم تتعرض لضرب عمــر لزوج أخته ، وفى الصفوة أن عمر لما دخل على أخته وثب على زوجهـــا ســـعيد بن زيـــد وبطش بلحيتـــه وضرب به الأرض وجلس عــلى صـــدره فجاءته أخته اتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم . فلما رأت الدم بكت وقالت : أتضربنى ياعدو الله على أن أوحد الله ، اقد أسلمنا على رغم أنفك ـــ الى آخر القصة .

وكان من أثر اسلام عمر ما قاله ابن مسعود رضى الله عنه : كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة ،والله ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى اسلم عمـــر رواه ابن أبى شيبة والطبرانى • وقال صهيب : لما اســــلم عمر قال المشركون انتصف القوم منا . رواه ابن سعد .

محنة المسلمين

قد ذكرنا فيما مر بعض ما أصاب النبى صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ، وآن الأوان ـــ لذكر ما أصـــاب المسلمين من تعذيبهم ليتم للقارىء معرفة الأسباب التىحملت المسلمين على الهجرة الى الحبشة اولا ثم الى المدينة ثانيا .

لما كثر المسلمون وظهر الاسلام أقبل المشركون على من أسلم يعذبونهم بألوان التعذيب ان لم يكن لهم قوة ومنعة . ويؤذونهم بالتوبيخ ان كانت لهم قوة ومنعة ، روى أن ابا جهل كان اذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك (١) ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك ، وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك . وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

ومن جرائمه أنه مر بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب مع ابنيها عمار وعبد الله وأبيهما ياسر بن عامر فطعنها فى فرجها بحربة وهى عجوز فقتلها وكانت أول شهيدات الاسلام فقال عمار للرسول بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فقال صلى الله عليه وسلم « صبرا أبا اليقظان .. اللهم لاتعذب من آل ياسر احدا بالنار » وكما قتل أبو جهل سمية رمى والدها عبد الله فسقط .

ومات زوجها ياسر من اثر التعذيب ، وكان ابنها عمار يعذب حتى لايدرى ما يقول ورؤى فى ظهره أثر فقال هذا ما كانت تعذبنى قريش فى رمضاء مكة ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر به وقد أحرقوه بالنار فأمر يده عليه وقال : « يانار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم » .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمر بهذه الأسرة التعسة وهى تعذب فيقول : « صبرا آل ياسر فان موعدكم

---
(١) اى عقلك .

الجنة» . ولقد صبر القوم وثبتوا على الايمان برغم التعذيب وكان أبو بكر اذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه من سيده وأعتقه ابتغاء وجه ربه الأعلى .

وممن اشتراه وأعتقه بلال بن رباح وكان مملوكا لأمية ابن خلف الجمحى القرشي وكان شديد التعذيب له ، فكان يجعل فى عنقه حبلا ويدفعه الى الصبيان ليلعبوا به ، وهو يقول : « أحد ، أحد » لم يشغله ماهو فيه عن توحيد الله ، وكان أمية يخرج به فى وقت الظهيرة فى الرمضاء (اى الرمل الشديد الحرارة الذي لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت) ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له لاتزال كذلك حتى تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى أو تموت فيقول : « أحد أحد » .

وقد مر به أبو بكر يوما وهو يعذبه فقال : « يا أمية اما تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى تعذبه ؟ قال : أنت أفسدته فانقذه مما ترى . فاشتراه منه وأعتقه . ويروى انه اشتراه بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة ، ونزل فيه وفى أمية فى سورة الليل : « فأنذرتكم نارا تلظى لايصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى » ــ وهو أمية ــ « وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى »

قال عمر : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا (يعنى بلالا) وقال صلى الله وسلم لبلال : « سمعت دق نعليك فى الجنة » رواهما البخارى .

وقد هانت نفس بلال عليه في سبيل الله فلم يبال بتعذيب سيده له وهان على قومه ولكنه عظم قدره عند المسلمين حتى قال فيه عمر ما ذكرناه مرويا عن الامام البخارى وعند الله حتى سمع الرسول دق نعليه فى الجنة (١) .

وممن اشتراهم أبو بكر وأعتقهم أم بلال واسمها حمامة وكانت جارية بنى المؤمل وعامر بن فهيرة وكان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ، وأبو فكيهة وكان عبدا لصفوان بن أمية ابن خلف .

ومنهم زنيرة وكانت تعذب فى الله حتى عميت فلم يزدها ذلك الا ايمانا وكان أبو جهل يقول : الا تعجبون لهؤلاء واتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه افتسبقنا زنيرة الى رشد ، فأنزل الله فى سورة الأحقاف : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم » .

وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ، فقال : يارسول الله الا تدعو الله لنا ، فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال : « انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من

(١) انتقم الله لبلال من أمية فى حياته فقد أسره عبد الرحمن بن عوف فى غزوة بدر الكبرى وقد أراد استبقاءه لاخوة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه ، فصاح بأعلى صوته يا انصار الله . رأس الكفر أمية ابن خلف لا نجوت ان نجا ، فأقبل الانصار نحوهما وكان مع أمية ابنه على فقتلوه ، قال عبد الرحمن بن عوف فتبعونا وكان رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له أبرك فبرك فألقيت نفسى عليه لامنعه فنهشوه بأسيافهم حتى قتلوه .

لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه ،وليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه » .

وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فى بشارته لخباب قد حدث ، وذلك لايكون منه الا بوحى من الله ، فان اتباع الرسول وقتئذ كانوا من القلة والضعف الى حد لايؤذن بحصول الايمان لاضعافهم فى حياة الرسول فالاخبار بذلك لايكون من باب الرجاء ، فان المقدمات لاتوصل اليه .

ثم انزل الله تثبيتا للمؤمنين أول سورة العنكبوت : (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

وصول المحنة الى الأشراف

لم تكن المحنة مقصورة على الضعفاء بل تجاوزتهم الى الاشراف الذين آمنوا ، فهذا أبو بكر على منزلته من الشرف والثراء فى قومه لم يسلم من اذاهم ، ولما اشتد هذا عليه صمم على الهجرة من مكة الى الحبشة ، فخرج حتى أتى برك الغماد (١) فلقيه ابن الدغنة زعيم قبيلة عظيمة اسمها

---

(١) برك الغماد : موضع يبعد عن مكة خمس ليال بسير الابل مما يلى البحر ، وقيل فى أقصى أراضى هجر .

القارة — فقال الى أين يا أبا بكر . فقال : اخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي ، فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . فانا لك جار ، فارجع واعبد ربك ببلدك .

فرجع وارتحل ابن الدغنـــة معه وطاف في أشراف قريش ، فقال لهم : أبو بكر لايخرج مثله ، اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له : مرابابكر فليعبد ربه في داره .. فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يســـتعلن فانا نخشى أن يفتن علينا نساءنا وأبناءنا .

فأبلغ ابن الدغنة هذا الشرط لأبى بكر . فلبث يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناءداره ،وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه ، وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : انا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه بفناء داره فعل ، وان أبى الا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك

ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان .

فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال : قد علمت الذى عاقدت لك عليه ، فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب انى اخفرت فى رجل عقدت له ، فقال ابو بكر : فانى أرد عليك جوارك وارضى بجوار الله . رواه البخارى .

وتعرض ابو بكر بعد ذلك لأذى كثير صبر عليه فى سبيل الله تعالى .

وقد علمت ما حصل لعمر من ضرب قريش له حين أعلن اسلامه واجتماعهم على بابه لايذائه حتى اجاره العاص بن وائل السهمى أبو عمرو .

وبالجملة لم يسلم أحد من المسلمين من الأذى ولكنهم ثبتوا واستسهلوا التعذيب فى سبيل الله .

آية انشقاق القمر

اراد المشركون تعجيز النبى فطلبوا منه ان يشق القمر فرقتين وهم يرون فى انفسهم أنه ان عجز عن تحقيق ما يطلبون فان ذلك سيصرف عنه وبذلك تنتهى دعوته ، وشاء الله أن يحقق لهم ما طلبوا فشق لهم القمر شقين استجابة لطلب نبيه ، فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا .

وقد روى هذه المعجزة عدد كبير من الصحابة كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهما ، ورواها جمع

غزير ، حتى صار حديثها متواترا أو كالمتواتر ، وقد صرح القرآن بها فى قوله : « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

ولما رأى المشركون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لبعض لقد سحركم محمد ، فانزل الله فيهم : « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » .

وروى أن بعضهم قال : فلننتظر السفار فان رأوه منشقا فليس سحرا ، لأن محمدا لايستطيع أن يسحر الناس ، فلما قدم السفار سألوهم فأخبروا انهم رأوه منشقا ولكنهم مع ذلك ظلوا فى طغيانهم يعمهون وجعلوا يطلبون منه آيات أخرى ، ولما كان الله يعلم أنه قد جاءهم من الآيات ما فيه الكفاية للتصديق وانهم بما يطلبونه من المزيد متعنتون معاندون ، فلذلك لم يجبهم الى ما سألوا وأنزل على رسوله : « وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون » .

ومما يؤيد انهم بما يطلبون لايريدون الاهتداء بل التعجيز والعناد ان أحد زعماء الكفار قال : « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » . ولم يقل ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه — ومن سنن الله أنه اذا حقق للامم مطالبها من الآيات من رسلهم فلم يؤمنوا اهلكهم كما حصل لعاد وثمود وغيرهم ، فلذا لم يحقق لهم ما طلبوا ، فقد كتب البقاء لهذه الأمة قال تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الأولون » . أى فاهلكناهم .

ولما رأى المشركون ضعفهم أمام قوة الاسلام وحججه ، وان ما صنعوه من التعذيب .. والايذاء للمسلمين لم يأت بفائدة ، اذ لم يصرفهم عن الايمان قيد انملة فلهذا قرروا أن يتابعوا الايذاء ويبالغوا فيه لعلهم يرجعون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه تفرقوا فى الأرض فان الله سيجمعكم ، فسألوه عن الجهة التى يهاجرون اليها فأشار عليهم بالحبشة كما سنذكره فيما يلى .

الهجرة الأولى الى الحبشة

قال ابن اسحق ان سبب الهجرة اليها انه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرجوا اليها مخافة الفتنة ، وفروا اليها بدينهم فكانت أول هجرة فى الاسلام .

وكانت هذه الهجرة فى رجب سنة خمس من النبوة ، فهاجر اليها ناس منهم من معه أهله ومنهم من هاجر بنفسه ، وكانوا أحد عشر رجلا ، عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، وأبو حذيفة بن عتبة هاربا من أبيه بدينه ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبى رهم العامريان وابن مسعود وأربع نسوة قاله الواقدى لكن ابن اسحق جزم بأن ابن مسعود كان فى الهجرة الثانية .

وقيل هم اثنا عشر رجلا واربع نسوة هن السيدة رقية مع زوجها عثمان ، وسهلة بنت سهيل مع زوجها أبى حذيفة مراغمة لأبيها فارة عنه بدينها ، وقد ولدت بالحبشة محمد بن ابى حذيفة وأم سلمة مع زوجها وليلى العدوية مع زوجها عامر بن ربيعة ، وقيل بل خمس نسوة بزيادة أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو مع زوجها أبى سبرة ، وجزم بذلك الحافظ كاليعمرى .

وكان مع السيدة رقية أم أيمن بركة حاضنة الرسول وجاريته ، وخرج هؤلاء سرا مشاة ثم عرض لبعضهم الركوب وانتهوا الى البحر ولم يكن معهم أمير ، فاستأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش خلفهم حتى جاءوا البحر وقد ركبوا فلم يدركوا منهم احدا .

وكان اول من خرج منهم عثمان بن عفان مع زوجه رقية وقد أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله .

ولما وصلوا الى الحبشة أقاموا عند النجاشى آمنين ، وقالوا : جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه .

فلما رأت قريش استقرارهم فى الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر بن المغيرة المخزومى بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي وكان اسمه اصحمة ، وكان معهما عمارة بن الوليد المغيرة المخزومى ، وقيل الصحيح انه لم يكن مع عمرو فى الهجرة الأولى سوى عمارة اما فى الثانية فكان معه عبد الله وقيل غير ذلك وكان المقصود من ذهاب هذا الوفد أن يرد النجاشى من هاجر اليه من قومهم فلم يقبل .

رجوع مهاجرى الحبشة فى الهجرة الأولى

لم يمكث المهاجرون الى الحبشة سوى ثلاثة أشهر ، رجعوا بعدها الى مكة اذ لم تتيسر لهم الاقامة بها لقلة عددهم ولأنهم من أشراف قريش ولأن مع بعضهم نساءهم وهؤلاء لا يطيب لهم الاغتراب عن أهليهم وذويهم مع عدم وجود عدد كبير يبعث الأنس والسلوى ، فضلا عن أنهم غير عارفين بلسان القوم فى مهجرهم .

حصار اقتصادى وصمود

لما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم باسلام عمر وحمزه وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الاسلام وانتشاره فى القبائل أجمعوا على قتل النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا، فجمع أبوطالب بنى هاشم وبنى المطلب فى شعب (١) بنى هاشم ليكونوا حوله صلى

(١) الشعب بكسر الشين منزل بنى هاشم غير مساكنهم ويعرف بشعب يوسف ، وقد كان لهاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم .

الله عليه وسلم لحمايته من قريش ، وقد استجابوا لدعوة أبى طالب مسلمهم وكافرهم حمية على عادة الجاهليـــة ، فلما رأت قريش ذلك اتفقوا على كتابة صحيفة يتعاقدون فيها على بنى هاشم وبنى المطلب انلايزوجوهم ولايبيعوهم شيئا ولا يشتروا منهم ولا يقبلوا صلحا ابدا حتى يسلموا رسول الله اليهم ليقتلوه ، وكانت الصحيفة بخط منصور بن عكرمة ، وقيل بخط بغيض بن عامر ، فشلت يده وعلقت الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة ولم يدخل معهم في الشعب أبو لهب امعانا فى بغضـــه للرسول صلى الله عليه وسلم .

وظلت هذه الصحيفة الظالمة نافذة سنتين وقيل ثلاثا حتى جهد بنو هاشم وبنو المطلب لقطع الميرة عنهم ، اذكان لا يصل اليهم شيء الا اليسير سرا . وبلغ منحرصابىطالب على حماية النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمــره أن يأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من اراد به شرا ، فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوته أو بنى عمه فاضجــع على فراشه صلى الله عليه وسلم وامره أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها .

هجرة الحبشة الثانية

بعد أن دخل الرسول وقومه الشعب أمر المســلمين أن يهاجروا ثانية الى الحبشة بعد أن استقبل المشركــون من رجع من الحبشة بالأذى والشر . فاستجاب ثلاثة وثمــانون

رجلا وثمانى عشرة امرأة وكان أيهم عبدالله بن مسعود وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن عرفطه وعثمان بن مظعون وتوجه اليهم من أسلم من اليمن وهم الأشعريون أبو موسى الأشعرى وأبناء عمه ، وكان ممن هاجر عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان فتنصر هناك . روى ابن سعد عنهما : رأيت فى المنام كأن زوجى عبد الله بأسوا صورة ففزعت فأصبحت فاذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات ، فأتانى آت فى المنام فقال : يا أم المؤمنين ، ففزعت فما هو الا أن انقضت عدتى فما شعرت الا برسول النجاشى يستأذن فاذاهى جارية اسمها أبرهة ، فقالت : ان الملك يقول لك وكلى من يزوجك بمحمد قالت : قد وكلت خالد بن سعيد بن العاص . الحديث ثم مات عبيد الله نصرانيا .

وروى أحمد باسناد حسن عن ابن مسعود قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فقدما على النجاشى فدخلا عليه وسجدا له وابتدراه ، فقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله فقالا : أن نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا ، قال : واين هم ؟ قالا : هم بأرضك ، فأرسل فى طلبهم ، فقال جعفر : أناخطيبكم اليوم فاتبعونى . فدخل فسلم ، فقالوا مالك لاتسجد للملك ؟ فقال: انا لانسجد الا لله عز وجل . قالوا : ولم ذلك قال : ان الله أرسل فينا رسولا وأمرنا أن لا نسجد الا لله وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو : فانهم يخالفونك فى ابن مريم وأمه ، قال : فما تقولون فيهما ؟ قال : نقول كما قال الله روح الله

وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول التى لم يمسسها بشر ، فرفع النجاشى عودا من الأرض ، فقال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان مايزيدعلى ماتقولون أشهد انه رسول الله الذى بشر به عيسى فى الانجيل ، والله لولا ما انا فيه من الملك لاتيته فأكون الذى أحمل وأوضئه (١) وقال انزلوا حيث شئتم ، وأمر بهدية الآخرين فردت عليهما .

وفى رواية فقال النجاشى مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، وانا أشهد أنه رسول الله . وتوفى النجاشى بعد الهجرة سنة تسع عند الأكثر وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة .

نقض الصحيفة الظالمة

وقد قام خمسة من أشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصيحفة الظالمة ، وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامرى ابن عمة الرسول عاتكة ، والمطعم بن عدى النوفلى وأبو البختري بن هشام الأسدى وزمعة بن الأسود الأسدي وهو أكثرهم جهدا فى ذلك ، وزهير بن أبى أمية المخزومى واتفقوا على ذلك ليلا ، فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال : ياأهل مكة :أناكل الطعام ونلبس اللباس وبنو هاشم وبنو المطلب هلكى لايبيعون ولا يبتاعون ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل : كذبت !! فقال زمعة لأبى جهل : بل أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت ، فقال

---

(١) المراد ان يكون فى خدمته .

أبو البختري : صدق زمعة ، وقال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك . وصدق على ما قيل هشام بن عمرو ، فقام اليها المطعم بن عدى فشقها. وكانت الأرضة قد اكلتها فلم يبق فيها الا ما فيه اسم الله تعالى ، وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر ، فخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة

وهذا برهان آخر على نبوته صلى الله عليه وسلم ، فلولم يكن نبيا حقا لما صبر على هذا الحصار الخانق ، ولقبل منهم ما عرضوه عليه من الملك والمال وهو درس لأصحاب المبادىء الحقة يوجب عليهم أن يصمدوا لكيد خصومهم حتى ينتصروا .

وفود نجران

وقد وفد على الرسول بعد خروجه من الشعب وفد من نصارى نجران لما بلغهم خبر بعثته من مهاجرى الحبشة فبادروا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ماذكر منها فى كتبهم وكانوا نحو عشرين رجلا ، فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل : ما رأينا ركبا أحمق منكم . أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم . فقالوا : سلام عليكم لانجاهلكم ، لكم ما أنتم عليه . ولنا ما اخترناه ، فأنزل الله فى سورة القصص :«الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به آنه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون

وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين » .

وفاة خديجة

وبعد خروجه صلى الله عليه وسلم من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين حدثت له محنة جديدة بوفاة زوجه خديجة ، ولقد حزن الرسول عليها وتألم لفقدها لما كانت عليه من صدق الايمان وخالص الوفاء ومباعدة الكفار عنه لما كان لها من الجاه فى عشيرتها بنى زهرة .

هجرة الطائف

لما رأى الرسول استهانة قريش بما جاء به من الحق أراد التوجه الى ثقيف بالطائف لعله يجد فيهم نصرته على قومه ومساعدتهم له حتى يتم أمر ربه لأنهم أقرب الناس الى مكة ، وله فيهم خئولة ، فان أم هاشم بن عبد مناف عاتكة السلمية من بنى سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف ، فلما توجه اليهم ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة : عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمربن عمير الثقفى فعرض عليهم نصرته فردوا عليه ردا قبيحا ولم ير منهم خيرا فطلب منهم أن لايشيعوا ذلك حتى لا تعلم قريش فيشتد أذاهم لأنه استعان عليهم باعدائهم فلم تفعل ثقيف بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون فى وجهه فى الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه ، وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى شجرة كرم واستظل بها ، وكانت

بجوار بستان لعتبه وشيبة ابني ربيعة القرشيين من أعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلا : « اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

فلما رآه ابنا ربيعة رقا له وأرسلا اليه بقطف من العنب مع مولى لهم نصرانى اسمه عداس ، فلما ابتدأ رسول الله يأكل قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال عداس : هذا كلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال عليه السلام : « من أى البلاد أنت وما دينك ؟ » فقال : نصرانى من نينوى (١) فقال عليه السلام :« قرية الرجل الصالح يونس بن متى » قال : وما علمك بيونس ؟ فقرأ له من القرآن ما فيه قصة يونس فلما سمعه عداس آمن .

وأتى جبريل الى الرسول برسالة من الله تعالى قائلا : « ان الله أمرنى أن أطيعك فى قومك لما صنعوه معك » فقال عليه السلام : « اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون » فقال جبريل : « صدق من سماك الرءوف الرحيم » .

الاحتماء بالمطعم بن عدى

ولما رجع الرسول من الطائف لم يتمكن من دخول مكة ، فقد علمت قريش بانه استنصر عليهم ثقيف . فأرسل عليه

---

(١) بلد عراقى على شاطىء دجلة ، امامها مدينة الموصل .

السلام الى المطعم بن عدى يخبره أنه سيدخل مكة فى جواره ، فأجابه الى ذلك وتسلح هو وبنوه وتوجهوا مع الرسول الى المطاف ، فقال له بعض المشركين : أمجير أنت أم تابع ؟ فقال : بل مجير . قالوا : اذا لا تخفر ذمتك .

وفد دوس

وفد على الرسول وهو بمكة وافد دوس (١) الطفيل بن عمرو الدوسى ، وكان شريفها فى قومه شاعرا نبيلا ، فلما قرأ عليه القرآن أسلم ، فقال رسول الله : « اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام » ودعا لهم رسول الله فقال : « اللهم اهد دوسا » فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم .

وفاة أبى طالب

كان أبو طالب ركنا حصينا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد حماه بجاهه ورياسته فى قومه من شرورهم قدر الامكان : ثم فجع فيه الرسول وقت الشدة ، ومات وعمر الرسول تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر واحد عشر يوما، وكان لفقده فى ابان محنة الرسول والمؤمنين أثر شديد عليه وعلى المسلمين وعلى الدعوة الاسلامية .

روى ابن اسحق عن ابن عباس : لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض : ان حمزة وعمر قد

---

(١) دوس : قبيلة منها أبو هريرة رضى الله عنه .

أسلما وفشا أمر محمد ، فانطلقوا بنا الى أبى طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطيه منا . فمشى اليه عتبة وشيبة وأبو جهل وامية ابن حرب فى رجال من اشرافهم فأخبروه بما جاءوا له . فبعث أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فأخبره بمرادهم فقال عليه الصلاة والسلام : نعـم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، فعرض عليهم الاسلام فصفقوا وعجبوا ، ثم قالوا : ماهو بمعطيكم شيئا ، ثم تفرقوا .

ولما حضرت الوفاة أبا طالب جمعهم وأوصاهم فقال : يامعشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ؛ فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع والواسع الباع . واعلموا انكم لم تتركوا للعرب نصيبا من المآثر الا احرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حزب ، وعلى حربكم الب (١) وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعنى الكعبة) فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة ، صلوا أرحامكم فان فى صلة الأرحام منسأة (أى فسحة) فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق فيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام

(١) الالب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم ـ قاموس

واوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين فى قريش والصديق فى العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وأنكره اللسان مخافة الشنآن (١) وايم الله كأنى انظر الى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا (أى ملوكا) ، واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ، ودادها وأصفت له فؤادها (٢) واعطته قيادها ، يامعشر قريش كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لايسلك سبيله أحد الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز (٣) ولدفعت عنه الدواهى ـ رواه هشام بن السائب الكلبى أبو المنذر ، ووثقه ابن حيان ـ ثم بعد ذلك مات ، وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام أو خمسة فى رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح ، وكان الرسول يسمى هذا العام عام الحزن .

عرض الاسلام على القبائل

أدى النبى صلى الله عليه وسلم رسالة ربه فى أهل مكة وما حولها على أحسن ما يكون الأداء . وبلغها على أتم ما

---

(١) اى مخافة البغض لما يعيرونه به من تبعية لابن أخيه الذى كان فى كفالته .

(٢) اى اخلصت له قبلها .

(٣) الهزهزة والهزاهز تحريك البلايا والحروب بين الناس ـ قاموس .

يكون التبليغ وتحمل فى سبيل ذلك أشد الايذاء وصمد معه المؤمنون وصبروا على صنوف التعذيب ثم أصبح لزاما ان تتجه الدعوة الى أرض خصيبة ونفوس خيرة بعد ان ظهر جليا أن أرض مكة أمست غير صالحة لاحتضانها وان اهلها تحجرت قلوبهم وعميت نفوسهم ووقفوا لها بالمرصاد يذودون النبى عن وردها الصافى ويمعنون فى ايذاء المؤمنين ويقعدون لهم كل مرصد ويصدونهم عن عبادة ربهم حتى هاجروا الى الحبشة مرتين ، وما رقت لغربتهم نفوس ذويهم من المشركين بل حاولوا اعادتهم الى مكة من مهجرهم ليصبوا عليهم اشد العذاب .

فكان لابد من الهجرة الى أرض عربية تكون منطلقا لدعوة الاسلام ، ومشرفا فى العالمين لشمس الهداية ، فلذا وجه الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى لقاء أهل المدينة فى المواسم ليعرض عليهم الاسلام انجازا لوعده تعالى بنصر دينه وتمام نوره : « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » . وتحقيقا لسنته مع رسله والمؤمنين : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا »

ولما كانت هذه المرحلة الجديدة تحتاج الى مزيد من تأييد الله وتثبيته لرسوله ، فلهذا أكرمه الله وشرفه بالاسراء والمعرج ليسرى عنه همه من ايذاء قومه له وأعراضهم عنه وليظهر له كرامته عليه سبحانه وليملأ نفسه همة ومضاء واستعدادا قويا للمرحلة الحاسمة التى يستقبلها وكان هذا التشريف فى ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للنبوة

بدات المرحلة الثانية بالاتصال بقبائل اهل المدينة تمهيدا للهجرة اليها ، وكان ذلك بأمر الله تعالى ، فقد أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقى باسناد حسن عن ابن عباس حدثنى على ابن أبى طالب قال : « لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وانا معه وابو بكر الى منى حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب وتقدم ابو بكر وكان نسابه فقال : من القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : من أى ربيعة أنتم ؟ قالوا : من ذهل . فذكر حديثا طويلا فى مراجعتهم وتوقفهم عن اجابة الدعوة .

ثم قال : ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج وهم الذين سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار لكونهم أجابوه الى ايوائه ونصروه . قال : فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم .

وقبل أن نتكلم فى شأن هذه البيعة نقول : انه كان من الذين يحجون البيت عرب المدينة وكانوا قبيلتين احداهما من ولد الاوس والأخرى من ولد الخزرج ، وكان الاصلان أخوين وكان بين أولادهما من العداوة ما جعلهما دائما فى شقاق وحروب دامية .

وكان يجاورهم بالمدينة بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة من اليهود ، وكانت لهم الغلبة على المدينة أولا ، فحاربهم العرب واستعادوا حقهم فى الغلبة عليها .

وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على أعدائهم باسم نبى قرب زمانه ، ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم على ما

قدمنا حالفوا اليهود على أنفسهم ، فحالف الأوس بنى قريظة وحالف الخزرج بنى النضير وبنى قينقاع .

وآخر حرب بين الأوس والخزرج كانت يوم بعاث ، وقد قتل فيها غالب رؤسائهم ، وتعتبر هذه الحرب الأخيرة من أسباب نجاح الدعوة الاسلامية بالمدينة ، قالت عائشة رضى الله عنهما : « كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم » أقول انه كان كذلك لأنه أخاف بعضهم من بعض ، فكانت كل قبيلة تريد أن تحالف من تتقوى به على الأخرى .

.. وقد خطر ببال رؤساء الأوس أن يحالفوا قريشا على الخروج فأرسلوا اياس بن معاذ وأبا الحيسر انس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف فى قريش ، فلما جاءوا مكة لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم : «هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ ان تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا وقد أرسلنى الله الى الكافة » ، ثم تلا عليهم القرآن . فقال اياس بن معاذ : يا قوم هذا والله خير مما جئتنا له ، فعصيه أبو الحيسر وقال له : لقد جئنا لغير هذا .. فسكت .

بدء اسلام الأنصار

ولما جاء موسم الحج بعد هذا اللقاء ، لقى الرسول فيه ستة من الخزرج ، هم أسد بن زرارة وعوف بن الحارث من بنى النجار ، ورافع بن مالك من بنى زريق وقطبة بن عامر من

بني سلمة وعقبة بن عامر من بني حرام وجابر بن عبد الله (١) ودعاهم الى الاسلام ومعاونته فى تبليغ رسالة ربه ، فقال بعضهم لبعض هذا هو النبى الذى كانت تعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا به ، وقالوا : انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ووعده المقابلة فى الموسم المقبل .

العقبة الأولى

فلما كان موسم العام المقبل قدم اثنا عشر رجلا عشرة منهم من الخزرج واثنان من الأوس فاجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة وأسلموا وبايعوا الرسول ، قال ابن اسحق يروى عن عبادة الصامت قال : بينما كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا الرسول صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ـ يقصد البيعة التى بايع الرسول النساء عليها عند فتح مكة ـ وكانت على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ينازعوا الأمر أهله وأن يقولوا الحق لايخافون فى الله لومة لائم .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشى من ذلك شيئا كان أمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه » .

---

(١) ابن رباب بكسر الراء بعدها ياء ، وهو غير جابر بن عبد الله الصحابى
(٢) فيهم خمسة ممن اسلم فى العام

ثم انصرفوا الى المدينة وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة (أى يصلى بهم الجمعة) بمن أسلم ، روى أبو داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : « كان أبى اذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زراره فسأله فقال : كان أول من جمع بنا بالمدينة » «١»

ثم كتب الاوس والخرزج الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يقرئهم القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين ، وكان يسمى بالمدينة المقرىء والقارىء ، ونزل مصعب على أسعد بن زرارة ، ويروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث معه عبد الله ابن ام مكتوم ابن خالة خديجة ليساعده فى مهمته ، وكان المسلمون قد بلغوا اربعين حينئذ كما رواه ابو داود .

---

(١) روى عن بن حميد باسناد صحيح عن ابن سرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله المدينة ـ وقبل ان ينزل بهم الجمعة فقال الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام والنصارى كذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلى ـ ونشكره فجعلوه يوم العروبة (اى يوم الجمعة) واجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله بعد ذلك • (اذا نودى للصلاة) الاية ـ قال الحافظ فهذا يدل على أنهم اختاروه بالاجتهاد وقال السهيلى تجميع الصحابة الجمعة وتسميتهم اياها بهذا الاسم هداية من الله لهم قبل ان يؤمروا بها ـ ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فاستقر فرضها واستمر حكمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم : ((أضلته اليهود والنصارى وهداكم الله له قال الحافظ ولا بعد انه صلى الله عليه وسلم علمه بالوحى وهو بمكة ـ فلم يتمكن من اقامتها ولذا جمع بهم أول ما قدم المدينة ـ ا هـ بشىء من التلخيص .

وجعل مصعب يدعو بقية الأوس والخزرج الى الاسلام ، وبينما هو فى بستان أسعد ابن زرارة اذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس لأسيد بن حضير ابن عم سعد الا تقدم الى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما ، فقام لهما اسيد بحربته ، فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ، فلما وقف عليها قال : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا أن كان بأنفسكما حاجة . فقال مصعب : أو تجلس فتسمع ، فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره ، فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن الاسلام فتشهد ورجع الى سعد فقال له : والله ما رأيت بالرجلين بأسا . فغضب سعد وقام مغضبا ، ففعل معه مصعب مافعله مع اسيد فتشهد ورجع الى بنى عبد الأشهل ، وهم بطن من الأوس ، فقال لهم : ما تعدوننى فيكم ، قالوا : سيدنا وابن سيدنا . قال : كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا ، فلم يبق بيت من بيوتهم الا اجابه وانتشر الاسلام فى دور المدينة ولم يكن لهم حديث سواه .

العقبة الثانية

فى العام التالى لبيعة العقبة الأولى رجع مصعب الى مكة ووافاها فى الموسم خلق كثير من أهل المدينة مسلمين ومشركين ، وكان البراء بن معرور زعيم القوم .

فلما كانت ليلة العقبـة فى الثلث الأول منها تسلل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثةوسبعون رجلا وامرأتان بعد أن تواعدوا مع الرسـول على ذلك وقد أوصـاهم أن لا ينبهوا فى ذلك الوقت نائما ولا ينتظروا غائبا حتى لا تعلم قريش فتفسد الأمر بينه وبينهم .

ووافاهم الرسول هناك ولم يكن معه سوى عمه العباس، وكان على دين قومه ، جاء يستوثق لأمر ابن اخيه ، فلما اجتمعوا عرفهم العباس ان ابن أخيـه لم يزل فى منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحدا من اعدائه وتحملوا فى ذلك أعظم المشقة ، ثم قال لهم : « ان كنتم وافين له ومانعيـه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك والا فدعوه بين عشيرته فانهم لبمكان عظيم » .

فقال كبيرهم البراء بن معرور : والله لو كان لنا فى أنفسنا شىء غير ما ننطق به لقلناه ولـكنا نريد الوفاء والصـدق وبذل مهجنا دون رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، خذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال : « اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسى أن تمنعونى ممـا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم » .

فقال له الهيثم بن النبهان : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهودا وأنا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا . فتبسم عليـه الصلاة والسلام وقال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم » (يعنى أنهم أن طالبوه بدم طالب به وان أهدروه أهدره) .

فبايعه الرجال على ما طلب ، ثم تخير منهم اثنى عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .

وقال لهم : « انتم كفلائى على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومى » .

وقد بلغ خبر هذه البيعة مشركى مكة فطار صوابهم وجاءوا منزل الانصار وقالوا : يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حربنا ، فانكروا ذلك ، وحلف بعض المشركين من أهل المدينة الذين لم يحضروا البيعة بأنهم لم يحصل منهم ذلك فى ليلتهم وعبد الله بن أبى يقول : « ما كان قومى ليفتاتوا على بشىء من ذلك » .

هجرة المسلمين الى المدينة

لما تمت بيعة العقبة الثانية ، أصبحت المدينة مهجرا امينا يمكن أن يهاجر اليه المسلمون ولقد حدث أن الانصار لما رجعوا الي المدينة نشروا الاسلام اكثر من ذى قبل وتأكدت قريش من امر البيعة وانتشار الاسلام هناك فعظم ايذاؤهم للمسلمين ، فلذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى المدينة فجعلوا يتسللون اليها خوفا من منع المشركين اياهم منها ، وأول من هاجر اليها منهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى أخو النبى من الرضاع وابن عمته بره ثم لحقت به زوجته أم سلمة وكان بنو المغيرة

(أهلها) حبسوها عنه ثم اذنوا لها فى اللحاق به فهاجرت وحدها حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة العبدرى وكان مشركا يومئذ فشيعها حتى اذا اوفى على قباء قال لها زوجك فى هذه القرية ثم رجع الى مكة ، فكانت تقول ماراًيت صاحبا قط أكرم من عثمان . كان اذا بلغ المنزل ناخ بى ، ثم استأخر عنى حتى اذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده بالشجرة ثم يضطجع تحت شجرة فاذا دنا الرواح قام الى البعير فرحله ثم استأخر عنى فقال اركبى فاذا استويت عليه أخذ بخطامه فقادنى .

ثم تبع ابا سلمة فى الهجرة عبد الله ابن جحش بأهله وأخيه أبى احمد عبد (بلا اضافة) وكان ضريرا يطوف أعلى مكة وادناها بلا قائد فصيحا شاعرا ونزلوا مع أبى سلمة عند مبشر بن عبد المنذر بقباء فى بنى عمرو بن عوف .

ثم تتابع المهاجرون ارسالا فرارا بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذى امتزج حبه بلحمهم ودمهم فآثروه على أوطانهم واهليهم .

ولم يبق بمكة الا ابو بكر وصهيب الرومى وزيد بن حارثة وقليل من المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة ، ولما أراد أبو بكر الهجرة قال الرسول على وسلك فانى أرجو ان يؤذن لى فقال ابو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى انت . قال : « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعدادا لذلك .

هجرة عمر بن الخطاب

تقدم قول ابن مسعود : (كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة) هـ .. وانما كانت هجرته نصرا لما اخرجه ابن عساكر وغيره عن على قال : ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وأخرج أسهما من كنانتــه وجعلها فى يديه واختصر عنزته (أى حملهــا مضمونة الى خاصرته) ــ والعنزة : عصا ــ ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس من أراد أن تثكله امه أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى . فما تبعه أحد الا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم اليه ثم مضى لوجهه .

قريش بدار الندوة

كانت لقريش دار يجتمعون فيها للتشاور فى أمورهم ، وهى دار أحد أجدادهم قصى بن كلاب ، فلما علمت بهجرة المسلمين الى المدينة التى أصبح لهم بها أنصار بايعوا محمدا على الموت فى سبيل الاسلام خافوا هجرته اليهم لما يترتب عليها من حروب يشنها عليهم بالمهاجرين والانصار فاجتمعوا بدار الندوة المذكورة للتشاور فيما يصنعون برسول الله حتى يحولوا دون الخطر المنتظر ، فقال أبو البحترى بن هشام : احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب

اشباهه من الشعراء قبله ، فقال قائل : ما هذا برأى ، والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ، فانظروا فى غيره ، فقال ربيعة بن عمرو العامرى : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى أين ذهب ، فقال قائل : والله ما هـــذا برأى الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على القلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما امنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يطلعوا عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ماأرد ، **فانظروا رأيا آخرا** .

فقال أبوجهل : والله ان لى فيه رأيا ما اراكم وقعتم عليه، أرى ان تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلـــوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعـــا فنعقله لهم ، فقال قائل : القول ما قال لا أرى غيره ، فوافق المتآمرون وتفرقوا على ذلك .« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » فقد أرسل الله جبريل فأوصى النبى صلى اللهعليه وسلم أن لايبيت على فراشه الذى كان يبيت عليه فى الليلة التى حددها لتنفيذ ما تآمروا عليه واخبره بمؤامرتهم .

فلما جاءت الليلة الموعودة اجتمعوا على بابه يرصـــدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليا أن ينام على فراشه ويتغطى

ببرده الاخضر ، وقال له لن يخلص اليك شيء تكرهه . ونفذ على ما أوصاه به الرسول بائما نفسه فداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

هجرة الرسول الى المدينة

تمت عملية المبادلة بين الرسول وبين ابن عمه علي والقوم يرصدون ، ولكن الله أعماهم فلم يروها مع أنهم كانوا يتابعون النظر من فرج في بابه صلى الله عليه وسلم ثم خرج الرسول من بين أولئك الراصدين ونثر التراب على رؤوسهم جميعا وهو يتلو سورة « يس » الى قوله تعالى : « فأغشيناهم فهم لايبصرون» فأعماهم الله عن مشاهدته وكان الرسول قدتوجه ظهرا الى أبي بكر وأعلمه ان الله تعالى اذن له في الهجرة ، فسأله الصحبة فاجابه اليها ، فعرض عليه احدى راحلتيه اللتين اعدهما فقبلها بالثمن فجهزاهما اسرع الجهاز ، وصنعت لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر نط قها وربطت به فم الجراب واستأجرا عبد الله بن اريقط من بني الديل ابن بكر ، وكان هاديا ماهرا وعلى دين قريش ، وكان أمينا فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غارثور بعد ثلاث ليال ، ثم فارق الرسول أبا بكر وواعده المقابلة ليلا .

وكانت هذه الليلة ليلة الاستعداد من قريش لتنفيذ ما تآمروا عليه ، فاجتمعوا حول بابه وحدث ما ذكرناه من خروجه صلى الله عليه وسلم من بينهم وهم لايشعرون وتوجه للقاء أبي بكر كما وعده فلقيه في داره كما ذكره ابن

القيم فى زاد المعاد ثم خرجا من خوخة (١) فيها وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه .

وجاء رجل فوجد المشركين بباب الرسول فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمدا . قال : قد خيبكم الله ، قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا ووضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، فما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب (٢)

وروى ابن اسحق أنهم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد الرسول صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه بردة فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا : لقد صدقنا الذى كان حدثنا .

وعن أحمد انهم سألوا عليا فقالوا : اين صاحبك ؟ قال : لا أدرى ، وقال السهيلى : ذكر بعض اهل السير انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امراة من الدار ، فقال بعضهم لبعض انها لسبة فى العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا الذى أقامهم على الباب حتى أصبحوا .

وكان خروجه للهجرة بعد بيعة العقبة الثانية بثلاثة اشهر تقريبا كما ذكره الحكم وابن اسحق .

---

(١) الخوخة : باب صغير .

(١) ذكره القسطلانى فى المواهب وابن القيم فى زاد المعاد .

هياج قريش وحسرتهم

لما تحققت قريش من خيبتهم وأنهم انما باتوا يحرسون عليا هاجت عواطفهم وتحسروا على ضياع تدبيرهم ، فطلبوه من كل جهة وأرسلوا العرافين بالاثر خلفه وجعلوا لمن يأتى بالرسول أو يدل عليه مائة من الابل ، فوجد أحدهم أثره متجها الى جبل ثور فتبعه حتى وصل الى جبل ثور فقال هنا انقطع الأثر ولا أدرى أخذ يمينا أو شمالا أو صعد الجبل .

عناية الله

كان متعذرا على القائف أن يعرف مصير الرسول بعد وصوله الى ذلك المكان ، فلقد أحاط الله تعالى الغار بما يبعد الظن انه ثوى اليه ، فقد أنبت الله شجرة ببابه وسخر العنكبوت فنسجت عليها وعلى باب الغار كما رواه البزار وغيره وأرسل حمامتين فعششتا وباضتا على وجه الغار وبذلك بدا أنه مكان مهجور منذ زمان قديم .

ولما أقبل فتيان قريش بعصيهم وسيوفهم تابعين للاثر جعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى تلك الظواهر التى أخفى الله بها رسوله فاستبعد دخوله فيه ، وأخبر رفقته بما رأى وانه يستبعد أن يكون محمد وصاحبه فى الغار ، وقال أمية بن خلف : وما حاجتكم الى الغار أن فيه لعنكبوتا أقدم

من ميلاد محمد . وقال آخر : لو دخل لكسر البيض وقطع العنكبوت وصدق البوصيرى اذ قال :

حماية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

وفى الحديث الصحيح عن انس قال أبو بكر : « يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى ما تحت قدميه لأبصرنا » فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لاتحزن ان الله معنا» رواه الشيخان وروى أن أبا بكر قال : « نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت أنه لم يكن تعود الحفاء والجفوة .

والله در البوصيرى حيث قال :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض — الفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه — وقلوه ووده الغرباء
اخرجوه منها وآواه غار — وحمته حمامة ورقاء
وكفته ينسجها عنكبوت — ما كفته الحمامة الحصداء

مدة الاقامة فى الغار

أقام رسول الله وصاحبه فى الغار ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع أمرا يكتادون به الا وعاه حتى يأتيهما

بخبره حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطيع من الغنم كان يرعاه حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو به عليهما فاذا خرج من عندهما عبد الله بن ابى بكر تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر .

الخروج من الغار

جاءهما الدليل عبد الله بن أريقط بالراحلتين صبح الليلة الثالثة وقد انقطع الطلب عنهما فارتحلا وأردف ابو بكر عامر ابن فهيرة (١) وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما وكان المشركون قد جعلوا لمن يدل عليهما أو جاء بهما دية (مائة من الابل) لكل واحد منهما فجد الناس فى الطلب والله غالب على أمره واتجه الدليل بهم نحو الساحل فمروا على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية بقديد وكانت ضخمة عفيفة حليلة قوية تجلس بفناء الخيمة وتطعم وتسقى من يمر بها وكان القوم مجدبين (أصابتهم شد أى مجاعة) فطلبوا منها شيئا : لبنا أو لحما او تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا وقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القرى (٢) فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد (أى الهزال) عن الغنم ، فسألها النبى صلى الله عليه وسلم : هل بها من لبن ؟ فقالت : هى اجهد من ذلك . فقال : « اتأذنين لى ان أحلبها

---

(١) ليقوم بخدمتهما .

(٢) أى ما احوجناكم الطعام

فقالت : بأبى انت وأمى ان رأيت بها حلبا (أى لبنا فى الضرع) فأحلبها . فدعا الشاه ومسح ضرعها فتفاجت ودرت ودعا بأناء يربض الرهط (أى يشبع الجماعة) فحلب فيه شجا (١) (أى حلبا قويا) وسقى القوم (أى بعد أن سقى هذه السيدة وتدعى أم معبد وسقى من معها) حتى رووا ثم شرب آخرهم . ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل (٢) ثم حلب فيه آخر وغادره عندها وقال لها ارفعى هذا لأبى معبد اذا جاءك .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وذهبوا فما لبث أن جاء ابو معبد زوجها يسوق عنزا عجافا يتساوكن (٣) هزلا مخهن قليل (٤) فلما رأى اللبن أبو معبد عجب وقال : ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاة عازب حيال (٥) ولا حلوب بالبيت ؟ فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا (وصفته له أجل وصف) فقال ابو معبد : هذا والله صاحب قريش لو رأيته لتبعته ، هذه خلاصة حديث أم معبد الذى رواه الحاكم وغيره وصححه البيهقى .

(١) سجا (بالتاء) (٢) اى شربا ثانيا بعد الاول

(٣) يتساوكن (أى يتمايلن من الهزال) (٤) اى مخ عظامها قليل لهزالها

(٥) عازب : اى بعيدة المرعى .

(٦) حيال : جمع حائل وهى التى ليس بها حمل

قصة سراقة

وبعد رواحهم من عند أم معبد تعرض لهم سراقة بن مالك بقديد ، وسبب تعرضه لهما ما رواه البخارى عنه قال : « جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : ياسراقة انى قد رأيت آنفا أسودة بالسواحل أراها محمدا وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا ، انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى من وراء اكمة فتحبسها على ، واخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت ، الحديث ، وفيه أنه لما دنا منهم سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج ما يكره لا يضرهم (١) ثم ركب ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ، فساخت يدا فرسه فى الأرض الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالأزلام فخرج الذى يكره (٢) فناداهم بالأمان . وفى رواية ابن عقبة وكنت ارجو أن أرده فاخذ المائة ناقة ، وفى رواية عن أبى بكر « تبعنا سراقة ونحن جلد من الأرض ، فقلت : هذا الطلب قد لحقنا ، فقال لا تحزن ان الله معنا ، فلما دنا

---

(١) ما يكره هو الغبار والذى نشأ عن خروجها ، وكان لا يضرهم .

(٢) وهو غبار شديد كان يختنق منه .

منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت : هذا الطلب قد لحقنا ، فقال لاتحزن ان الله معنا ، فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا وبكيت ، قال صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قلت : ما والله على نفسى ابكى ولكن عليك .

وروى انه صلى الله عليه وسلم دعا بدعوات فقال : « اللهم اكفنا بما شئت » وفى حديث انس عن البخارى « اللهم اصرعه فصرعه فرسه » .

وحدث أنه لما ساخت قوائم فرسه الى الركبتين (١) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم طلب الأمان قائلا : « انظرونى اكلمكم فوالله لا يأتيكم منى شيء تكرهونه ، وقال : يامحمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ولك على أن أرد الناس عنكما ولا أصدكما فدعا له فنجاه الله وركب فرسه وجاءهما (٢) وقال سراقة: ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الزاد والمتاع فلم يأخذا منه شيئا وقالا له : أخف عنا . قال سراقة : فسألته أن يكتب لى كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدبم ، وفى حديث أنس : « فقال يانبى الله مرنى بما شئت قال تقف مكانك لاتتركن احدا يلحق بنا ، فكان أول

---

(١) فى حديث اسماء عن الطبرانى انها وقعت لمنخريها ، وعند البزار انها ارتطمت به الى بطنها .

(٢) فأخبرهما بما يريد الناس منهما كما رواه ابن اسحق .

النهار جاهدا على نبى الله وكان آخر النهار مسلحة له »
رواه البخارى .

وقال ابن اسحق لما بلغ أبا جهل مالقى سراقة لامه فى
تركهم ، فأنشده :

أبا حكم واللات لو كنت شـــاهدا
لأمر جوادى اذ تســـيخ قــوائمه
عجبت ولم تشــك بأن محمــــدا
نبى وبرهـــــان فمن ذا يكاتمـــه

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة : « كيف
بك اذا لبست سوارى كسرى » وكان ذلك يوم لحقهما عند
الهجرة ، كما قاله ابن المنير ، ولما سمع ذلك من الرســول
عجب ، وفى خلافة عمر تم القضاء على ملك كسرى ، وكان
مما غنمه عمر سواراه وتاجه ومنطقه فدعا سراقة فألبسه
السوارين وقال : ارفع يديك وقل الحمد لله الذى سلبهما
كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بنى
مدلج . ورفع عمر صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين .

بريدة يطمع فى الجائزة

مما حدث للرسول فى الطريق تعرض بريدة بن الخصيب
له طمعا فى الجائزة ولكن الله هداه فأسلم . أخرج البيهقى
عنه قال : « لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى
صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من
بنى سهم فلقيته فقال : « من أنت » قلت : بريدة ، فالتفت
صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقال : « برد أمرنا وصلح»
ثم قال « ممن أنت » قلت : من أسلم . قال : « سلمنا »

ثم قال : « ممن » قلت من بنى سهم . قال : « خرج سهمك يا أبا بكر » فقال بريدة : من أنت ؟ قال : « أنا محمد ابن عبد الله رسول الله » فقال بريدة : أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وأسلم من كان معه جميعا ، قال بريدة : الحمد لله الذى أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة : « يارسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء ، فحل عمامته ثم شدها فى رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة » .

استعداد أهل المدينة لاستقباله

كان أهل المدينة حين بلغهم خروجه صلى الله عليه وسلم يخرجون الى الحرة (١) . ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، وقد فعلوا ذلك أياما عديدة ، فانقلبوا يوما بعد ما طال انتظارهم ، فلما أووا الى بيوتهم طلع رجل من يهود على حصن من حصونهم فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يظهرهم السراب ، فلم يملك اليهودى نفسه فدعا بأعلى صوته يابنى قيله (٢) هذا جدكم (أى حظكم ومطلوبكم) قد اقبل فخرج اليه الأوس والخزرج سراعا بسلاحهم ابتهاجا بمقدمه واظهارا للشجاعة لتطمئن نفسه الشريفة على صدقهم فى مبايعته على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم وأنفسهم وتلقوه بظهر الحرة .

---

(١) الحرة هى الارض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بعدد منها .

(٢) الجدة الكبرى للانصار والدة الاوس والخزرج .

النزول بقباء

نزل النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف . بقباء ، وكان نزوله على كلثوم ابن الهدم وكان مشركا يومئذ، وجلس صلى الله عليه وسلم صامتا ، ووقف أبو بكر يتلقى الناس ، وكان من جاء من الأنصار ولا يعرف الرسول يسلم على أبى بكر يظنه الرسول كما فى رواية ابن عقبة عن ابن شهاب حتى أصابت الشمس الرسول فأقبل أبو بكر فظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله عند ذلك .

وكان قدومه أول يوم من ربيع الأول ، وقيل فى اليـــــوم الثانى منه ، وقيل غير ذلك ، وأقام على بمكة بعد خروج الرسول ثلاثة أيام ثم لحقه بقباء ، وكان يسير بالليل ، ويختفى بالنهار وقد تعبت قدماه فمسهما النبى ودعـا له فشفاهما الله فورا ، وبقى مع الرسول بها ليلة أو ليلتين فى آخر اقامته بقباء .

التاريخ الهجرى

لما كانت هذه الهجرة سببا لظهور الاسلام وانتشـــاره جعلت اساسا للتاريخ الاسلامى واختلف فى اول من أرخ بها ، فقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذى أمر بذلك عنـد نزوله بقباء رواه الحاكم فى الاكليل عن الزهرى .

وقيل انه عمر بن الخطاب وهو المشهور . اخرج ابو نعيم فى تاريخه عن طريق الحاكم عن الشعبى ان أبا موسى كتب الى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمـــر

الناس فقال بعضهم أرخ بالمبعث وبعضهم بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وبالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه وذلك سنة سبع عشرة .

ومما دعا عمر الى جعل المحرم اول العام مع أن الهجرة تمت في ربيع الأول لأن العزم عليها كان فيه اذ البيعة الثانية كانت في ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة وتلاها هلال المحرم فناسب أن يكون أول العام (١) .

مسجد قباء

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء أربع عشرة ليلة ــ كما في صحيحي البخاري ومسلم ــ أسس فيها مسجدها ، وهو الذي وصفه الله تعالى بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم ، وصلى فيه الرسول بمن معه من الأنصار والمهاجرين مطمئنين آمنين ،وهو أول (٢) مسجد بني في الاسلام وأول مسجد صلى فيه الرسول باصحابه جماعة ظاهرين .

وكان هذا المسجد اثيرا على قلب الرسول فلذا كان يأتيه كل سبت راكبا أو ماشيا وكان عبد الله بن عمر يفعل ذلك ، رواه البخاري والنسائي ومالك وغيرهما عن ابن عمر .

---

(١) كان العرب قبل ذلك يؤرخون بالحوادث كحادث الفيل ويوم بعاث وبالشهر القمري كقولهم حدث كذا لخمس خلون من رجب ولذا قدمت الليالي لان الهلال يظهر ليلا .

(٢) اي لجماعة المسلمين ، فلا ينافي ان ابا بكر كان اول من بنى مسجدا لنفسه في فناء داره بمكة .

صلاة الجمعة فى بنى سالم

ثم خرج الرسول من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة فى أرض بنى سالم ابن عوف فصلاها بمسجد أقاموه بها ، وكان معه فى الصلاة فيه مائة من المسلمين ويسمى هذا المسجد « عتبيا » وسمى بعد صلاة الجمعة فيه مسجد الجمعة ، وكانت هذه أول جمعة صلاها الرسول ، كما خطبت فيه أول خطبة خطبها فى الاسلام وهو مسجد صغير بنى بحجارة على قدر نصف القامة .

التوجه الى المدينة

بعد صلاة الجمعة ركب الرسول على راحلته متوجها الى المدينة ، وكان كلما مر على دار من دور الأنصار دعوه الى الاقامة لديهم قائلين هلم الى القوة والمنعة ، فيقول (١) : « خلوا سبيلها فانها مأمورة » يعنى ناقته القصواء وقد أرخى النبى زمامها وما يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا فى اثناء سيرها حتى أتت بفناء بنى عدى بن النجار أخواله الذين تزوج منهم هاشم جده ، فبركت امام مربد (٢) لسهل وسهيل ولدى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ ابن عفراء ، وقيل اسعد بن زرارة وقيل فى حجر ابى ايوب .

ثم سارت الناقة والرسول عليها حتى بركت على باب أبى أيوب الأنصارى واسمه خالد ن زيد بن كليب من بنى النجار ، ثم سارت وبركت فى مبركها الأول وارزمت (يعنى

---

(١) وقد أخذا بزمامها .
(٢) المربد مكان يجفف فيه التمر .

صوتت من غير ان تفتح فاها) ونزل عنها النبى صلى الله عليه وسلم : وقال : «هذا المنزل انشاءالله واحتمل ابوايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة . وكانت داربنيالنجار أوسط دور الأنصار وافضلها . وذكر ابن سعد ابن ابا أيوب لما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم : «المرء مع رحله» وان اسعد ابن زرارة جاء فأخذ ناقته فكانت عنده .

وذكر ابن اسحاق عن ابى أيوب الانصارى قال : « لما نزل صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وكنت أنا وأم أيوب فى العلو ، فقلت يانبى الله انى أكره واعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فأظهر انت فكن فى العلو وننزل نحن ونكون فى السفل ، فقال : يا أبا أيوب أن الأرفق بنا ومن يغشانا ان نكون فى سفل البيت » . فكان النبى فى سفله وكنا فوقه ، فلما خلوت الى أم أيوب قلت لها : « رسول الله أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة والوحى فما بت تلك الليلة لا انا ولا أم أيوب » .

وفى رواية لابن اسحق أنهم انكسر لهم اناء فقام مع زوجته ينشفان الماء بقطيفة ــ ولم يكن لهما لحاف غيرها ــ تخوفا من ان يسقط ماء على الرسول فيؤذيه ، قال ابو ايوب فلما أصبحت قلت يارسول الله مابت الليلة انا ولا أم أيوب، قال « لم يا أبا ايوب » ؟ قال قلت : « كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة والوحى ، لا والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة انت تحتها أبدا ، ولم يزل يتضرع له حتى تحول النبى صلى الله عليه وسلم الى العلو .

وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الأنصار كسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت ، فما من ليلة الا وعلى بابه الثلاث أو الأربع من جفان الثريد .

فرح أهل المدينة بمقدمه

خرجت ولائد بني النجار يقلن عندما أخذ أسعد بن زرارة ناقته عنده :

نحن جوار بنى النجار
يا حبذا محمد من جنار

وقد فرح أهل المدينة بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم ــ روى البخارى عن البراء بن عازب : « فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وروى ابو داود عن أنس : لما قدم النبى المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب ، وروى عن أنس بن مالك أن ذوات الخدور صعدن على الاجاجير (الأسطحة) عند مقدمة يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

أخوة الاسلام

بعد الجفوة والبغضاء للمسلمين من اهليهم بمكة كافأهم الله بالبشاشة والحب والايثار من اهل المدينة ، وحسبك في تصوير هذا الحب والايثار قوله تعالى في أهل المدينة : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . ولقد تنافس الأنصار في ضيافة المهاجرين حتى حكموا القرعة بينهم ، وكانوا يرون ذلك قليلا بالنسبة لهم . وقد آخى النبي بين المهاجرين والانصار ، فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في الله ، وكانت هذه الأخوة أعلى وأغلى عندهم من الاخوة العصبية ، وكان هذا الاخاء على المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الأرحام الى أن نسخه الله بقوله : « واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وذلك بعد ان فشا الاسلام في الاقارب .

أثر الهجرة

كان الاسلام حبيسا بمكة لا يستطيع أهله الاستعلان به وتبليغه وكانوا يجدون على ايمانهم الحبيس في صدورهم من الأذى مالا تحتمله أقوى النفوس الا بعصمة الله الذي يحمي النفوس من الانهيار والاستسلام ، فلما هاجر النبي والمسلمون الى مكة لقوا من الحب والاكرام وحرية العبادة

والجهر بها والمساعدة عليها مالم يحلموا به ، وانتهى هذا الحب الى المؤاخاة التى هى ذروة الحب وصمام الأمان .

وعلى أساس هذا الحب والمؤاخاة ، والاخلاص لدين الله : بنى المجتمع الاسلامى الجديد الذى تفجـــر طاقات متوثبة فانية فى سبيل الله مندفعة بدعوة الحق فى المشـــــارق والمغارب تحت لواء رسول الله تنشر النور وتبذر بذور الهدى والرشاد والأمن والسلام حتى زال الشرك من الجزيرة العربية وحلت عقيدة التوحيد للقادر القهار محل عبـادة الهياكل والأحجار وكل ذلك بفضل اعتصامهم بحبل الله جميعا وعدم تفرقهم .

وعلى منهاج الرسول سار الخلفاء الراشدون من بعده فانضوى تحت لوائهم أهل المشارق والمغارب ، وأصبحوا لا تغيب عن بلادهم الشمس فلا يمكن أن يغلبوا من قلة ، وانما يغلبون من تفرق ، فعليهم أن يسيروا على سنة أسلافهم من المحبة واجتماع الكلمة ليستعيدوا أمجاد أسلافهم الغـــر الميامين .

والله تعالى هو الموفق والمعين

مطابع شركة الاعلانات الشرقية)



فى هذا العدد

أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد أن اصطفاه الله أمينا على وحيه ، اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر ، وبضعة أيام ، لم ينقطع يوما فيها عن تبليغ رسالة الله ، والدعوة الى عبادته وحده ، ومع ما بذله من جهود ، وما صبر عليه من أذى وشدة، وما سلكه من سبل الحكمة ، لم تنتشر دعوته بمكة بسبب البيئة الفاسدة ، والقلوب المتحجرة التى أضلتها الجهالة والوثنية .. فشاءت ارادة الله أن يولى وجهه بلدا غير مكة ، تلمسا للتربة الطيبة ، وتخيرا لمواقف النجاح ، ونقلا للجهاد من ميدان الى ميدان ، فكانت دروسا فى التضحية وانتصارا للارادة القوية والعزيمة الصادقة ، والمخاطرة الجريئة ، وثقة بالله وبالمستقبل وبالنجاح .

الثمن ٧ قروش